جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

الميدان: لغة وادب عربي
الفرع: دراسات نقدية
التخصص: نقد حديث ومعاصر

رقم تسلسل المذكرة: .....

إعداد الطالبة:
أسماء خليل
يوم: 2025/06/02

الاستراتيجية النقدية في كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث –أنموذجا-أحمد سحنون للدكتور (سليم كرام)

لجنة المناقشة

أعضاء اللجـنة	الرتبة	الصـفـة	الجامعة
- مداس أحمد	- أستاذ دكتور	رئيسا	بسكرة
- عبد الرزاق بن دحمان	- أستاذ دكتور	مشرفا مقررا	بسكرة
- جريوي آسيا	- أستاذ دكتور	مناقشا	بسكرة

السنة الجامعية:2025/2024

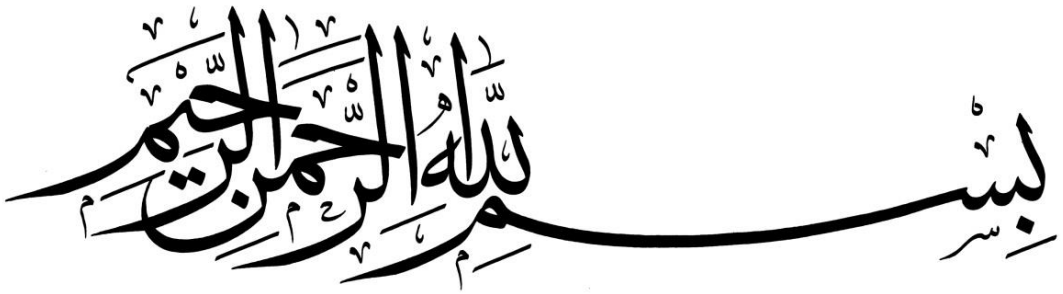
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

وبفضله يسر لنا سبل العلم،

ووفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع فله الحمد أولا وآخرا ظاهرا وباطنا.

أتقدم بفيض من الامتنان، وأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل:

الدكتور بن دحمان عبد الرزاق

الذي كان لي نعم الموجه والداعم، فبفضل توجيهاته وملاحظاته القيمة،

استطعت أن أخطو خطوة ثقة في مسار هذا البحث.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أعبر عن خالص الشكر والامتنان

لكل من قدم لي يد المساعدة، أو كلمة دعم، أو دعوة صادقة،

فلكم جميعا مكانة في القلب لا تزول وذكركم باق ما بقي هذا العمل.

إهداء

"وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" سورة يونس الآية 10

الحمد لله عند البدء وعند الختام
من قال أنا لها نالها
لقد كانت طريقا طويلة مليئة
بالإخفاقات والنجاحات فخورين
بكفاحنا لتحقيق أحلامنا.
لحظة لا طالما انتظرتها وحلمت بها
في حكاية اكتملت فصولها.
إلى من علمني العطاء بدون انتظار
إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى
من كلله الله بالهيبة والوقار "والدي"
حبيبي العزيز.
إلى قرة عيني إلى القلب النابض إلى
من كانت دعواتها الصادقة سر نجاحي
"أمي".
إلى أخواتي خولة، ريان، سمية،
أماني، سلمى وإخوتي أحمد وياسين
أدامكم الله ضلعا ثابتا لي والسند في
الحياة.
إلى حبي الأول ابتهال وحبي الثاني
مودة بنات أختي حفظهم الله ورعاهم.
إلى صديقة عمري أسماء عجال.
إلى نفسي التي راهنت على النجاح،
اصبري وصابري فلا يزال الطريق طويل.
-والحمد لله على حسن التمام والختام

مقـــــدمـة

مقـــــدمـة:

يعد الشعر من أسمى الأجناس الأدبية التي عبر من خلالها الإنسان عن رؤيته للعالم ومكوناته النفسية والعاطفية، وهو مرآة تعكس واقع مجتمعه وظروفه الحضارية والثقافية ومن خلال هذا الفن الراقي، استطاع الشعراء تجسيد مشاعرهم وأفكارهم بأسلوب فني يحمل من الجمالية ما يجعل الشعر أحد أبرز وسائل التعبير الأدبي في مختلف العصور.

وقد شكلت الطبيعة عبر التاريخ الشعري العربي مصدر إلهام عميق لكثير من الشعراء، فقد تجلت مظاهرها في صور متعددة، سواء كعنصر دلالي يوظف لإيصال معان وجدانية، أو كأداة رمزية تعكس قضايا الإنسان وتطلعاته، وكان لتجربة الشعراء الرومانسيين أثر واضح في هذا السياق، حيث استندوا إلى الطبيعة في التعبير عن مشاعرهم ومواقفهم الوجودية ومن بينهم الشاعر الجزائري أحمد سحنون الذي اتخذ من الطبيعة مدارا أساسيا في تجربته الشعرية.

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يعالج جانبا فنيا وفكريا مهما في الشعر الجزائري الحديث، يتمثل في كيفية توظيف الطبيعة كآلية تعبيرية واستراتيجية رمزية في التجربة الشعرية لأحمد سحنون، كما يكتسب الموضوع أهميته من اعتماد الدراسة على كتاب الدكتور سليم كرام، الذي مثل مرجعا نقديا، مما يتيح فرصة لإعادة قراءة هذا الشعر في ضوء آليات تحليل حديثة، وإضافة إلى ذلك فإن هذه الدراسة تندرج ضمن الجهود الرامية إلى إحياء التراث الشعري الجزائري الحديث وربطه بالمقاربات النقدية المعاصرة، بما يسهم في تحديد البحث الأدبي وتوسيع آفاقه.

يرجع اختياري لهذا الموضوع إلى مجموعة من الاعتبارات العلمية والشخصية، فمن جهة تمثل بتجربة أحمد سحنون الشعرية نموذجا غنيا يستحق التوقف والتحليل، لما تحتويه من أبعاد فكرية وجمالية، ولما تعكسه من ارتباط وثيق بالهوية الوطنية والروحية للجزائر، ومن جهة أخرى، فإن قلة الدراسات النقدية التي تناولت شعر سحنون من زاوية توظيفه للطبيعة دفعتني إلى محاولة سد هذه الثغرة خاصة وأن الطبيعة في شعره لا تأتي كعنصر زخرفي فقط، بل تتعدى ذلك لتعبر عن موقف إنساني وحضاري، كما أن كتاب الدكتور سليم كرام بما يحمله من مادة نقدية ثرية، شكل دافقا علميا لاختياره كمرجع مركزي لهذه الدراسة.

تتمثل إشكالية البحث في محاولة معرفة حضور الطبيعة في شعر أحمد سحنون وكيف قرأ الباحث سليم كرام هذا المنجز الشعري من خلال كتابه الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث.

ولبسط هذه الإشكالية المعرفية قسمت بحثي إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة:

- مدخل بعنوان الشعر والالتزام في الأدب الجزائري.

- الفصل الأول نظري بعنوان النقد الأدبي بين الممارسة والاستراتيجية، يضمن أربعة عناصر:

- العنصر الأول: النقد ممارسة إبداعية (النقد إبداع ثان/والعنصر الثاني النقد وإشكالية المنهج والعنصر الثالث كتاب الطبيعة في ميزان النقد والعنصر الرابع اللغة النقدية).

- أما الفصل الثاني: خصصته للجانب التطبيقي بعنوان الاستراتيجية النقدية في كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري أحمد سحنون-أنموذجا- (لسليم كرام) ويضمن ثلاثة عناصر:

- العنصر الأول البناء المعرفي والعنصر الثاني البناء المنهجي والعنصر الثالث مصادر التحليل النقدي والمرجعيات وخاتمة رصدت بعضا من الأفكار والخلاصات هيأن تكون فاتحة لأبحاث أخرى.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مرجعيات وآليات القراءة والتلقي واستأنست في ذلك بمفاهيم النقد الانطباعي.

ولبلوغ هذه المقاصد المعرفية استعنت ببعض المصادر والمراجع أهمها: تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى الممارسة للدكتور محمد صابر عبيد. النص من القراءة إلى التنظير للدكتور محمد مفتاح وسلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي لخديجة عفيري.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتها في إعداد البحث تمثلت أساسا في ندرة المراجع التي تناولت شعر أحمد سحنون بوجه خاص وبالأخص ما يتعلق بشعر الطبيعة ضمن تجربته الشعرية، كما واجهت صعوبة في الوصول إلى بعض المصادر النقدية المتخصصة مما تطلب جهدا مضاعفا في البحث والتحليل والربط بين المعطيات المتوفرة.

وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في هذا العمل، وأن يبارك فيه ويجعله نافعا في ميزان العلم، كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور (بن دحمان عبد الرزاق) على توجيهاته القيمة وملاحظاته البناءة التي كانت لها الأثر الكبير في بلورة هذا البحث وتصويبه.

مدخل

الالتزام في الشعر الجزائري الحديث

- الشاعر أحمد سحنون بين الالتزام الوطني والتشكيل الجمالي:

الشاعر أحمد سحنون يعتبر أحد أبرز الأصوات الشعرية في الجزائر وقد تميزت تجربته الشعرية بالجمع بين الالتزام الوطني والجمالية الفنية.

كان أحمد سحنون شاعرا ملتزما بقضايا وطنه، حيث عبر من خلال شعره عن معاناة الشعب الجزائري تحت الاستعمار الفرنسي ودعا إلى المقاومة والتحرير، كان شعره بمثابة سلاح في مواجهة المحتل، حيث استخدم الكلمة كأداة لتوعية الناس وتحريضهم على النضال من أجل الحرية، وقد تميزت قصائده بالحماسة والقوة حيث كان ينقل صورة الواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري، معبرا عن آماله في التحرر والاستقلال.

- ولقد كان الشيخ أحمد سحنون من أكثر المطالبين والمنادين بالجهاد ضد المستعمر الفرنسي في مقالاته وأشعاره فمن أمثلة ذلك قوله في قصيدة (إلى التلميذ) يقول:

وَلْيَكُنْ حَادِيَكَ تَحْرِيرُ الْحُمَّى! إِنَّ تَحْرِيرَ الْحُمَّى لِلْحِرْحَادِ!
هَذِهِ غَايَتُكَ الْمُثْلَى الَّتِى! إِنْ تَحِلَّهَا تَنَلْ كُلَّ مُرَادٍ![1]

- قوله في قصيدة (إلى المعلم):

هَاتَ مَنْ نَشَءُ الْحُمَّى خَيْرُ عَتَادٍ وَادَّخِرَهُمْ لِغَدٍ جُنْدَ جِهَادٍ
هَاتِهِ نَشْئًا قَوِيًّا بَاسِلًا إِنَّ دَجَا خُطْبَ يَكِنْ أَوَّلَ فَادٍ[2]

- وفي قصيدة (الكشاف):

كَشَّافٌ يَا إِبْنَ الطَّبِيعَةِ وَابْنَ الْحُقُولِ الْبَدِيعَةِ
كُنْ لِلْبِلَادِ دَلِيلًا كُنْ فِي الْجِهَادِ طَلِيعَةً[3]

- وفي قصيدة (إلى ولدي رجاء) يوجه نداءه لولده بقول:

مَتَى أَرَاكَ مِثَالًا مِنْ الْهِمَّةِ وَمَضَاءٍ
وَلِلْجَزَائِرِ دِرْعَا تَرُدُّ كُلَّ اعْتِدَاءٍ
مَتَى أَرَاكَ حَامِيًا لَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
مَتَى أَرَاكِ فِدَاءٌ لَهَا وَأَيُّ فِدَاءٍ[4]

- على الرغم من التزامه الوطني، لم يهمل أحمد سحنون الجانب الجمالي في شعره، فقد كان يهتم ببناء القصيدة فنيا، حيث استخدم لغة شعرية راقية وموسيقى داخلية تعكس عمق التجربة الإنسانية، تميز شعره بالصور الشعرية المبتكرة والإيقاعات المتنوعة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، كما أنه استلهم من التراث العربي والإسلامي مما أعطى شعره بعدا ثقافيا عميقا.

- يقول "أحمد سحنون" في قصيدة "عاد الخريف":

1 - أحمد سحنون، الديوان، ص ص14-15.
2 - نفس المصدر، ص ص12-13.
3 - أحمد سحنون، الديوان، ص ص16-17.
4 - نفس المصدر، ص73.

عَادَ الْخَرِيفُ وَلَمْ تَعُدْ حُرِّيَّتِي حُرِّيَّتِي هِيَ كُلُّ مَا أَتَطَلَّبُ
أَطْلَقْتُ مِنْ حَبْسِي وَلَكِنْ لَمْ أَزَلْ مُتَعَقِّبًا أَنَّى أَسِيرُ وَأَذْهَبُ
ذَنْبِي اَلْعَظِيمُ حَمَاسَتِي لِعَقِيدَتِي إِنْ مَسَّهَا سُوءٌ أَثُورَ وَأَغْضَبُ
وَالِدِينَ أُفَدِّيهِ بِبَذْلِ حَشَاشَتِي أَسْعَى لِمَا يَحْمِي عُلَاهُ وَأَدْأَبَ
لِيَعُودَ دُسْتُورَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا فَهُوَ الشِّفَاءُ لِمَا بِهِ تَتَعَذَّبُ
هَلْ كَانَ هَذَا الدِّينُ إِلَّا ثَوْرَةً شَعَتْ أَلَسْنَا مِنْهَا وَزَالَ الْغَيْهَبُ
فِي الدِّينِ تَأْمِينُ الْحَيَاةِ مِنْ الْأَذَى وَهَلْ الْحَيَاةُ بِغَيْرِ دِينٍ تُعَذَّبُ؟
أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ لَسْتُ مُنَافِقًا أَنَا ثَابِتٌ كَالطَّوَدِ لَا أَتَذَبْذَبُ
فَلْيَرْتَدِعْ مَنْ ظِلِّ يَرْقُبُ غَفْلَتِي قَلْبِيٌّ بِحَوْلِ اللَّهِ لَا يَتَقَلَّبُ[1]

يقول "سيد قطب" إن للألفاظ أرواحا وتبرز براعة المبدع في أن يطلق هذه الأرواح في جوها الملائم لطبيعتها، فتستطيع الإيحاء الكامل والتعبير المثير[2] وهذا ما نلاحظه في أبيات "الشيخ سحنون" حيث أنه كان بارعا في اختيار الكلمات المناسبة للموضوع، فجاءت ألفاظه قوية، ومعبرة، صاغها بطريقة سليمة حيث يفهمها السامع ويتفاعل معها شعوريا، وعند النظر إلى السياق العام لهذه الألفاظ نجد أنها تحمل معاني عميقة، لأنه بالرغم من إطلاق سراحه إلا أنه لازال مراقب من طرف المستعمر ورغم ذلك، لم يكن يسمح بأي مساس بعقيدته أو إيمانه، فهو يرى أن كل من كان متمسكا بالله لن يصيبه أذى، فهو ثابت على هذا الدين، وللتعبير عن ذلك استعمل التشبيه في قوله: أنا ثابت كالطود لا أتذبذب، أي شبه نفسه أو ثبات إيمانه بالجبل الثابت لا يتحرك من مكانه.

ومن جميل شعره وأجوده في باب الالتزام هذا النص الشعري وهي قصيدة طويلة تحدث فيها عن عدة قضايا شغلت فكره ووجدانه كالتمسك بالإسلام وحب العلم وطلبه و التمسك بحبل النجاح و العمل و تجنب المخازي و طلب العلا و الرشاد اذ يقول:

اِتَّحِدْ فَالنَّجَاحُ فِي الِاتِّحَادِ يَا شَبَابَ الْفِدَى وَنِشْءَ الْجِهَادِ
إِنَّنَا أُمَّةً اِتِّحَادَ بِهِ سَدْنَا وَعَدْنَا عَلَى جَمِيعِ اَلْعِبَادِ
اِتَّحَدْنَا رَأْيًا وَفِكْرًا وَخُلُقًا وَاتِّحَادُ الشُّعُوبِ أَقْوَى عَتَادٍ
وَإِذَا نَحْنُ قُوَّةٌ تُتَحَدَّى كُلُّ ذِي قُوَّةٍ وَذِي اسْتِبْدَادٍ
مَا دَهَانَا حَتَّى أُصِبْنَا بِخَلَفٍ عَاثَ فِينَا كَمِنْجَلِ الْحَصَادِ؟
غَيْرَ أَنَا لَمْ يَخُبْ فِينَا سَنَا الْقُوَّةِ إِنَّا كَالنَّارِ تَحْتَ الرَّمَادِ
فَلْنَعُدْ لِاتِّحَادِنَا مِثْلَمَا كُنَّا يُعَدُّ مَا لَنَا مِنْ الْأَمْجَادِ
وَلْنَعَدَ لِلْإِخَاءِ وَالْحُبِّ رِفَافًا وَصِدْقَ الْوَلَا وَصَفْوُ الْوَدَادْ
يَا شَبَابَ الْإِسْلَامِ يَا جُنْدَ طَهَ يَا كَرِيمَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
أَتَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَشْكُو تَسَلُّطَ الْأَوْغَادِ؟

1 - أحمد سحنون، الديوان الثاني، ص28.
2 - سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشرق، بيروت، لبنان، ص71.

وَانْصَرَ الْمُسْلِمِينَ وَاخْذَلَ أَعَادِيَهُمْ لِيَسْمُوَ نَجْمُ الْهُدَى فِي الْبِلَادِ[1].

- لقد كان للتيار الإسلامي والمنهج الإصلاحي لدى الشاعر "سحنون" دور فعال في تهذيب صياغته وتلطيف لغته حتى أعطته صيغة خاصة جمعت بين الهدف الإصلاحي والتنفيس عن الروح تعبيرا عن مشاعر الألم والحزن على شباب الأمة الذين فرقتهم الأنانية وطغى عليهم حب المظهر وتعد هذه القصيدة نموذجا متكاملا للجمال البلاغي، وهي جميلة بالجناس في كلمتي "سدنا وعدنا" وكلمتي "نهفو وتعفو" فالجناس محسن بديعي يعبر عن حسن صياغة الكلام وبراعة الشاعر في انتقائه وتركيبه هذا من جهة ومن جهة أخرى يزيد الشعور رونقا خاصا.

وتعزيز المعنى وتكثيف دلالته، إلى جانب الصور البيانية التي تضيء حقيقة الشعور الكامن خلف الكلمات، وقد أبدع الشاعر في استخدام التشبيه لإبراز عمق إحساسه كما يظهر في قوله "نحن قوة"، وهو تشبيه بليغ، حيث جعل من القوة صفة متأصلة في ذاته ورفاقه. موحيا بأنها ليست مجرد سمة مكتسبة، بل جوهر متجذر فيهم، وقال كذلك "أصبنا بخلف عاث فينا كمنجل الحصاد"، شبه تخلفهم بالمنجل الذي يحصد به الفلاح زرعه.

- كما برع في توظيف التشبيه في قوله:

غير أنا لم يخب فينا سنا القوة إنا كالنار تحت الرماد[1]

إذ يشبه الشاعر نفسه وشعبه بنار كامنة تحت الرماد، لا يظهر لهيبها، لكن في أعماقها تتقد شرارة مشتعلة تهدد بالانفجار في أي لحظة.

- استلهم الشاعر من الاستعارة أداة تعبيرية تعزز قوة صوره الشعرية كما يتجلى ذلك في قوله "يا زارع الإحسان والفضل في الرمل والوهاد"، وهي استعارة مكنية، حيث شبه الإحسان والفضل بالبذور التي تغرس في الأرض الجرداء، إذ حذف المشبه به (البذور) وأبقى على أحد لوازمه وهو الفعل "زارع: مما أكسب العبارة طابعا مجازيا غنيا بالإيحاءات".

وفي موضع آخر استخدم الشاعر الاستعارة بمهارة فنية بارزة كما في قوله "مزقت شملنا الأنانية الحمقاء" حيث يمكن أن نستنبط من هذا البيت صورتين استعاريتين، الأولى حينما شبه الأنانية بالإنسان الأحمق، والثانية شبه الشمل بالقماش أو الورق الذي يمزق.

إن هذا التوظيف الذكي للاستعارات حيث تتداخل صورتان مجازيتان في عبارة واحدة يثري النص، ويضفي عليه بعدا جماليا يحوله إلى لوحة شعرية متوهجة بالحياة والمعاني العميقة.

يقول:

إِنَّ الْجَزَائِرَ لَا تَخَافُ سِلَاحَكُمْ فَلَهَا مِنْ الْإِيمَانِ خَيْرُ سِلَاحِ!
وَلَهَا شَبَابٌ صَادِقٌ الْعَزَمَاتِ ذُوَ نَسَبٌ عَرِيقٌ فِي الْأَبَاةِ صَرَاحُ!

1 - الديوان، ص117.

شَبُّوا عَلَى الْكَرَمِ النُّفُوسَ سَمَاحَةً لَكِنَّهُمْ بِالْعَرْضِ غَيْرُ سَمَاحَ!
لَا يُفْرِغُونَ لَدَى الْحُرُوبِ مِنْ الرَّدَى فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا بِلَا أَرْوَاحٍ![1]

بالرغم من تأكيد أن الشاعر يؤكد أن الشعب الجزائري بوجه عام لم يخش سلاح المستعمر. فإنه يبرز رسالة موجهة خصيصا لفئة الشباب، حيث سلط الضوء على مجموعة من القيم التي تحل بها شباب جيله في مواجهة العدو، فقد اتسموا بالصدق والإخلاص في مسيرتهم النضالية، كما جسدوا أسمى معاني الكرم، مكرسين أنفسهم للحفاظ على العرض والدفاع عن الوطن، غير مترددين أمام الموت، بل مقبلين عليه عزيمة وإيمان بقضيتهم.

أما من الناحية الجمالية، فقد وظف الشاعر، كما أشار صاحب "البحث المقدم لنيل شهادة الدكتوراه" "الطيب دحمان" أساليب بلاغية متنوعة وبأن الشاعر "يزاوج بين بالصوامت المجهورة (الصاد، الدال، العين، الراء) والصوامت المهموسة (السين، الشين، الحاء، الكاف)، ويساهم هذا التناغم الموسيقي في تعزيز الكثافة الإيقاعية للألفاظ إلى جانب اعتماد الشاعر على الكلمات ذات دلالات قوية مثل "سلاحهم، سلاح، صادق، عرف، فلاح، سماحة، سماح..."[2].

من ناحية أخرى، يوظف الشاعر أسلوبا بلاغيا يعرف بـ: "التصدير" حيث يعتمد على تكرار بعض الكلمات مثل "(سلاحكم، سلاح)" و"(سماحة، سماح)" مما يعزز الإيقاع الصوتي للنص، يساهم هذا التكرار في خلق تناغم موسيقي واضح، مما يجعل القراءة أكثر انسيابية ويؤدي إلى جذب انتباه المتلقي، وتؤدي أيضا إبراز المعنى وتعزيز البعد الجمالي.

ويقول:

شَعْبُ "الْجَزَائِرِ" فِي السُّجُونِ وَفِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلٌ،
شَعْبُ "الْجَزَائِرِ" كَالْقَطِيعِ مَشْرَدٌ وَمَقْتَلٌ!
شَعْبٌ يَذُوبُ شَبَابُهُ بِيَدِ الْخُطُوبُ وَيُذْبَلُ؟
شَعْبُ صَبَايَاهُ بِنِيرَانِ الرَّصَاصُ تَجَنْدِلُ!
فَعَلَتْ بِهِ الْأَحْدَاثُ وَالْأَزَمَاتُ مَا لَا يَفْعَلُ! [3]

يبين الشاعر في هذه الأبيات المعاناة التي تكبدها الشعب الجزائري خلال مراحل مختلفة من تاريخيه، حيث تعكس الواقع الأليم الذي عاشه تحت وطأة الاستعمار والقهر السياسي والاجتماعي، حيث يصور الشعب الجزائري مقيدا داخل السجون، يعاني من القمع والاستبداد، فيبرز حالة التشرد والتشتت التي عانى منها الجزائريون نتيجة الاستعمار مما أدى إلى تفكيك الهوية الوطنية، وتجسيد صورة الشباب الجزائري وحجم الظلم الذي تعرض له...

1 - أحمد سحنون، ديوان، ص90.
2 - الطيب دحمان، قصيدة الحرب في الشعر الجزائري، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إ/أ. د. عبد القادر قروش ود. عبد الحفيظ بورديم، كلية الآداب والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، 2007-2008، ص199.
3 - أحمد سحنون، الديوان، ص122.

أما من الناحية الجمالية، ربما التكرار اللفظي في هذه الأبيات قد يخل بالمعنى الجمالي لكنه يضيف على النص نغمة موسيقية تثير الحماسة في نفوس المحاربين وتدفع بهم إلى خوض المعارك[1]، تكرار كلمة شعب (الجزائر) في بداية كل بيت يعزز الإيقاع ويعطي النص طابعا نغميا مميزا، مما يرسخ المعنى في ذهن القارئ ويؤكد على هوية الجماعة ومعاناتها المشتركة.

ويقول:

يَا بِلَادِي هَوَاكْ نَجْوَايْ فِي سِرّي وَجَهْرِي وَيَقَظَتِي وَرِقَادِي[2]

هذه الأبيات تعكس مشاعر الشاعر "سحنون" العميقة تجاه وطنه حيث يحمل دلالات وجدانية قوية ترتكز على الحب والانتماء الصادق حيث نلاحظ استخدام التضاد بين (سري-جهري) و(يقظتي-رقادي) مما يعزز من إيقاع البيت ويوضح شمولية الحب حيث أعطى الإيقاع مسحة مؤثرة في نفسية المتلقي، ومنح التلوين الإيقاعي متعة جمالية، وغرس روح المواطنة في النفوس.[3]

ويقول:

هَلْ تَجْتَلِي عَيْنِي سَنَاكَ فَيُشْفَى قَلْبٌ يَشُبُّ بِهِ الْغَرَامُ لَهِيبًا؟
هَلْ يَشْتَفِي الْبَلَدُ الْحَبِيبُ فَطَالَمَا ذَاقَ الْبَلَاءَ وَكَابِدِ التَّعْذِيبَا؟
هَلْ يَنْجَلِي لَيْلُ الْخُطُوبِ بِأُفُقِهِ فَكَفَاهُ أَنْ يَقْضِيَ الْحَيَاةَ حَرْبِيًّا؟
هَلْ يَسْتَعِيدُ هَنَاءَهُ وَصَفَاءَهُ وَيَرَى زَمَانًا كَالرَّبِيعِ خَصِيبًا؟[4]

إن القصيدة تعكس تجربة الشاعر في السجن، وتعبر عن معاناة داخلية عميقة من خلال أسئلة تعكس الألم واليأس على سبيل المثال "القلب الجريح" والشفاء يرمز إلى جراح روحية ونفسية نتيجة للظلم والتعذيب وإن هذه الأسئلة الموجودة في القصيدة لها دلالات عميقة على معاناة الشاعر في السجن وتدل على صراع نفسي يعاني منه الشاعر مرتبط أساسا بمعاناة الوطن من قسوة الاستعمار و وحشيته[5].

ومن حيث التشكيل الجمالي، القصيدة تمتاز بعدة عناصر فنية مثل:

- الإيقاع الموسيقي: استخدام بحر الكامل مما يجعل الأبيات تنبض بإحساس اللحظة والاعتماد على الأسئلة المتكررة يعطي القصيدة طابعا حواريا مع الذات، مما يعمق الاتصال بين النص والمتلقي.

حيث أن (أحمد سحنون) استعمل في قصيدته التكرار الاستهلالي وهو أحد السمات الأسلوبية المميزة وتكون من تكرار صيغة السؤال (الاستفهام وصيغة الشرط) إذ تسهم

1 - الطيب دحمان، قصيدة الحرب في الشعر الجزائري، المرجع السابق، ص203.
2 - أحمد سحنون، الديوان، ص199.
3 - الطيب دحمان، قصيدة الحرب في الشعر الجزائري، المرجع السابق، ص102.
4 - أحمد سحنون، الديوان، ص121.
5 - محمد عبد الهادي، بناء القصيدة في شعر أحمد سحنون أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر، أ. د، الطيب بودربالة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص349.

هاتان الصيغتان في فتح مجال الدلالي، وشحنه بقوة إيحائية تستدرج الشرط إلى إكمال النص وتدفعه إلى البحث عن عناصر الغياب من نواقص وإجابات ومن نماذج (التكرار الاستهلالي) تكرار صيغ الشرط (إذا حيث تسهم هذه الصيغ في تواشج الجمل وازدياد فاعليتها الدلالية، فلو أخذنا صيغ الشرط المتصدرة بإذا في مفتتح الأبيات، لوجدنا أنها تقترن بالفخر والعزة والإباء والحسرة على الوطن الغالي، و(إذا) أداة ذات فائدة بنائية تقوم بحفظ بنائية الأبيات[1].

ويقول:

وَطَنِي! يَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَيَا فَلْكَ الْحَسَنِ، وَيَا مَهْدَ صَبَايَا
يَا نَشِيدُ الْمَجْدِ، يَا أُغْنِيَةَ مِنْ أَغَانِي الْحُبِّ، يَا نَجْوَى هَوَايَا
يَا سَمَاءَ لِلْعَلَا، يَا مُلْتَقَى إِخْوَتِي الصَّيْدِ، شَبَابًا وَصَبَايَا[2]

وهذا التعلق بالوطن غريزة إنسانية لأن الوطن يمثل صلة الإنسان بالحياة، والأهل والأحباب، والذكريات الخوالي، ولذا فلا عجب أن يسيطر طيف الوطن على ذهن الشاعر في يقظته ومنامه، فالشاعر غارق في حب وطنه إلى أعمق أعماقه، لذا عاش الشاعر السجين مؤرقا بوطنه متشوقا إليه[3].

ومن الناحية الجمالية استخدم الشاعر الاستعارة بشكل واضح مثل قوله "وطني يا مهبط الوحي" هنا يشبه الوطن بمكان مقدس ينزل فيه الوحي، وقد كرر الشاعر مثل "يا" في بداية الأبيات مما يعزز الإيقاع الموسيقي ويعبر عن انفعاله الشديد اتجاه وطنه، وبهذه العناصر الجمالية نجح الشاعر في تقديم صورة وجدانية قوية تعكس مدى ارتباطه العميق بوطنه، بأسلوب يجمع بين العاطفة الصادقة والجمال الفني.

ويمكن قول إن الشاعر أحمد سحنون مخلصا ووفيا لقضية بلاده ويمثل نموذجا فريدا للشاعر الوطني الذي لم يكن شعره مجرد تعبير عن المشاعر الوطنية، بل كان صوتا ثوريا يحمل رسالة واضحة في الدفاع عن الحرية، الكرامة، والهوية الوطنية، فقد عكس التزامه العميق بقضايا وطنه من خلال صوره الشعرية التي تمجد النضال والمقاومة، وتدعو إلى التمسك بالقيم الدينية والوطنية، مما جعل شعره شاهدا على مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر، إلى جانب رسالته الوطنية، لم يكن التزامه قاصرا على المحتوى فقط، بل انعكس أيضا في التشكيل الجمالي لنصوصه، حيث وظف الصور البيانية، والإيقاع الموسيقي، التكرار والرمزية بأسلوب فني بديع فقد استطاع أن يجمع بين الإحساس الوطني الصادق والتقنيات الجمالية الرفيعة، فكان شعره قويا في مضمونه راقيا في بنيته الفنية. وإن تجربة أحمد سحنون تثبت أن الشعر ليس مجرد كلمات تنظم بل هو رسالة تتجاوز حدود الزمن، وترسم صورة مشرقة لمستقبلها، ومن خلال أشعاره استطاع أن يزرع في الأجيال حب

1 - محمد عبد الهادي، بناء القصيدة في شعر أحمد سحنون، المرجع السابق، ص ص348-349.
2 - أحمد سحنون، الديوان، ص115.
3 - محمد عبد الهادي، بناء القصيدة في شعر أحمد سحنون، المرجع السابق، ص207.

الوطن والإصرار على الدفاع عنه لتبقى كلماته جزءا لا يتجزأ من الذاكرة الثقافية والتاريخية للجزائر.

الفصل الأول

النقد الأدبي بين الممارسة والاستراتيجية

1- **النقد ممارسة إبداعية (النقد إبداع ثان).**
2- **النقد وإشكالية المنهج.**
3- **كتابة الطبيعة في ميزان النقد الحديث.**
4- **اللغة النقدية.**

1- النقد ممارسة إبداعية (النقد إبداع ثان):

يعد النقد الأدبي أحد أبرز الأركان التي يقوم عليها الوعي الثقافي والجمالي في أي تجربة أدبية ناضجة وإذا كان ينظر إليه تقليديا بوصفه فعلا تابعا للنص الإبداعي، فإنه في ضوء النظريات النقدية، الحديثة قد تجاوز هذا الدور التابع، ليرتقي إلى مرتبة الخطاب الموازي، الذي لا يقتصر على التفسير والتقسيم، بل يشارك في إنتاج المعنى، ويسهم في توجيه أفق التلقي لقد أصبح النقد ممارسة ذات طابع إبداعي يتطلب من الناقد وعيا فنيا ولغويا وثقافيا يمكنه من بناء قراءة جديدة للنص، تعيد تشكيله وتمنحه حياة ثانية عبر التأويل والتحليل، إن ما يمنح النقد طابعه الإبداعي هو كونه فعلا تأويليا خلاقا، لا يكتفي بنقل المعنى بل يعمل على توليده، فالنقد ليس مجرد مرآة تنعكس عليها صورة النص، بل هو عين ذات رؤية، ولسان ذو نبرة خاصة وأسلوب يحمل بصمة الناقد ذاته، في هذا الإطار تكتسب العلاقة بين النقد والإبداع بعدا تكامليا، حيث لا ينظر إلى الناقد كمجرد قارئ متخصص بل يعد مبدعا ثانيا يشتغل على النصوص بنفس الجهد التخيلي واللغوي الذي يبذله الكاتب، وبهذا المعنى فإن النقد في حقيقته تجربة إبداعية موازية، تغني النص الأدبي وتفتح آفاقا جديدة لفهمه وتذوقه "على هذا النحو بوسعنا القول إن مفهوم النقد اليوم أخذ بعدا جديدا تخلص فيه تماما من تبعيته الاشتغالية الصرف للنصوص والظواهر الإبداعية التي يعمل عليها، بعد أن تقف انتقالته الإبداعية الخاصة من مكوثه القار داخل حدود منطقة النظرية النقدية، وما يتمخض عنها من قراءات إجرائية على معالم الظواهر وأصداء النصوص وأجوائها، إلى فضاء التجربة النقدية المفتوح والشاسع والخصب والمتعدد والمتنوع"[1] أي أن النقد الأدبي لم يعد مجرد تابع للنصوص الأدبية أو يقتصر على شرحها فقط، بل أصبح نشاطا فكريا مستقلا ومبدعا في حد ذاته ويشير إلى أن النقد تطور وانتقل من مجرد أداة لفهم النصوص إلى مجال إبداعي مستقل، له أدواته وأساليبه الخاصة بحيث لم يعد النقد حبيسا داخل النصوص بل أصبح يدخل في تجربة واسعة تشمل النظريات والمناهج المتنوعة وتحليل الظواهر من زوايا متعددة، ويمكن القول إن النقد قد دخل مرحلة التجربة النقدية لا بوصفه انعكاسا للظاهرة الأدبية بل باعتباره فعلا ثقافيا خلاقا في ذاته، قادرا على إنتاج معنى وتوليد أسئلة جديدة حول النص والواقع.

"والناقد مبدع ليس فقط بسبب طبيعته الأدبية، وإنما لكونه يأتي بالجديد الكامن في النص الأدبي، أو كما يقول ميخائيل نعيمة (1989 /1988)، الناقد مبدع عندما يرفع النقاب في أثر ينقده عن جوهر لم يهتد إليه أحد، حتى صاحب الأثر نفسه، لإن الروح التي تتمكن من اللحاق بروح كبيرة، في كل نزعاتها وتجوالها، فتسلك مسالكها، وتستوحي موجباتها

1 - محمد صابر عبيد، تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى الممارسة، ط1، 1434هـ/2013م، دار الأمان، الرباط، ص115.

وتصعد وتهبط صعودنا وهبوطها هي روح كبيرة مثلها"[1] يؤكد ميخائيل نعيمة على أن الناقد ليس مجرد محلل للنص الأدبي بل هو مبدع بالمعنى الحقيقي للكلمة، فالإبداع النقدي لا ينحصر في الجوانب اللغوية أو الأسلوبية التي قد يتحلى بها الناقد بل يتجلى أساسا في قدرته على الكشف عن المعاني العميقة الكامنة في النصوص، والتي قد لا يكون المؤلف نفسه قد أدركها بشكل واع أثناء الكتابة، فالناقد في تصور نعيمة يملك روحا مبدعة تستطيع التماهي مع النص، والاندماج في أعماقها واستيعاب تموجاتها النفسية والفكرية إلى درجة تمكنه من ملاحقة الروح الإبداعية التي أبدعت النص بل والسير معها في رحلتها الصاعدة والهابطة، التأملية والوجدانية. "إن المبدع ناقد بالقوة، فهو لو لم يكن يمتلك حاسة نقدية وثقافة عميقة في النقد لما استطاع أن يبدع أو يستمر في الإبداع عن طريق تطوير نفسه الأمر الذي يؤدي إلى تطوير أدبه فذوقه النقدي يدفعه إلى تصحيح إبداعه قبل نشره، كما أن ثقافته النقدية تحفزه إلى هذا الإبداع ويتصل بمواطن الجمال فيه بفضل ذائقته المصقولة بالشفافية والثقافة"[2] أي أن العلاقة بين الإبداع والنقد ليست علاقة فصل أو تقابل، بل علاقة تكامل وتداخل، فالمبدع الحقيقي لا ينتج نصوصه الأدبية بصورة عشوائية أو تلقائية فقط، بل يعتمد بشكل ضمني أو واع، وإن الحاسة النقدية التي يمتلكها المبدع تشكل أداة مهمة في تحليل ما يكتبه بنفسه، وتمكنه من مراجعة نصوصه وتعديلها والتفاعل معها بوعي جمالي وفني قبل تقديمها.

"ويطمح الغذامي أن يصبح النقد إبداعا ينافس الإبداع الأصلي ويحتاج بدوره إلى تشريح لأن للنقد طقسيته ورموزه"[3] يعبر عبد الله الغذامي عن رؤية حديثه للنقد الأدبي، حيث لم يعد ينظر إليه كأداة خارجية لفهم النصوص، بل كخطاب موازٍ للإبداع الأدبي، يحمل خصائصه وأساليبه وطاقته الجمالية الخاصة فالغذامي يطمح إلى أن يتحول النقد إلى ممارسة إبداعية بذاتها، لا تقل عن النصوص الأدبية من حيث العمق والابتكار، بل قد تتفوق عليها أحيانا في قدرتها على تفكيك المعنى وإعادة بنائه، ويشير الغذامي إلى أن النقد لنفسه أصبح يتطلب قراءة وتشريحا، لأنه لم يعد مجرد تحليل بسيط بل أصبح خطابا معقدا يمتلك رموزه ومصطلحاته ومناهجه الخاصة، مما يجعله خاضعا هو الآخر للتأمل والتحليل النقدي، كما هو حال النصوص الإبداعية.

يتضح من خلال ما سبق أن النقد الأدبي لم يعد مجرد فعل تابع للنصوص بل أصبح ممارسة إبداعية موازية تنبع من عمق القراءة وتحفز على التأويل وإنتاج المعنى فالناقد ليس متلقيا سلبيا، بل فاعلا ومشاركا في البناء الجمالي والفكري للنص بذلك يمكن القول إن

1 - د. ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، ط1، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997، ص27.
2 - د. ماجدة حمود، المرجع نفسه، ص ص18-19.
3 - د. عبد الله العذامي، الكتابة ضد الكتابة، ط1، 1991، دار الأداب، بيروت، ص121.

النقد الحديث أصبح فنا قائما بذاته، تتداخل فيه المعرفة بالحس الإبداعي فيغدوا الناقد مبدعا ثانيا يضيء ما خفي ويبعث الحياة من جديد في النصوص الإبداعية.

2- النقد وإشكالية المنهج:

تعد الممارسة النقدية الحديثة مرجعا معرفيا ذا قيمة جوهرية في مجال التنظير الأدبي على مستوى الخطابات الجمالية والفلسفية، فلم يعد الخطاب النقدي المعاصر شكلا أدبيا يفكك النصوص الأدبية والنظر في مكونات عناصر الأدب، بل استحضارا مكثفا لكل أشكال التعبير اللغوية والجمالية، وهذا بالنظر إلى جميع الطرائق والأسس المنهجية الجامعة لكل الأشكال الأدبية المعروفة، ومن هنا أصبح النظر إلى تلك التحولات المعرفية أمرا إلزاميا لمعرفة منظومة النقد الأدبي المعاصر، وما تنطوي عليه من قيم وفلسفات تشرك معها كل المواصفات العلمية المتطورة عبر الزمن والتاريخ، وعليه فإن محاولة تأطير الظاهرة النقدية المعاصرة أمر يتطلب حفرا تاريخيا عميقا في شجرة المعرفة الإنسانية.[1]

يعد المنهج في النقد الأدبي من أبرز الإشكاليات التي واجهت النقاد، خاصة في ظل التحولات التي شهدتها الساحة الثقافية والمعرفية "تعد إشكالية المنهج في الدرس النقدي الحديث واحدة من أخطر إشكاليات الثقافة المعاصرة وأشدها التباسا وغموضا وتعقيدا وذلك لانغماس الدرس النقدي العربي الحديث بالمناهج النقدية الحديثة التي غزت هذا الدرس النقدي العربي الحديث بالمناهج النقدية الحديثة التي غزت هذا الدرس غزوا واسعا شرسا من دون سابق إنذار..."[2] إن مسألة المنهج في النقد الأدبي الحديث من القضايا المعقدة والمثيرة للجدل، لأنها ترتبط ارتباط مباشرا بكيفية فهم النصوص وتحليلها وتأويلها، فقد شهد النقد العربي المعاصر موجة كبيرة من التأثر بالمناهج النقدية الغربية الحديثة مثل البنيوية والسيميائية والتفكيكية وغيرها، وهو ما أدى إلى دخول هذه المناهج إلى الساحة النقدية دون تمهيد معرفي كاف.

"لا ينبغي أن تأخذها كبضاعة، كالبضائع الكمالية التي تشتريها من الغرب، ونحن إن لم نفعل ذلك، فلا ينبغي أن نعد أدباء ولا نقادا، وإنما سنعد من المجترين ومن المتخلفين ومن أولي التبعية للغرب فكريا كما كنا من أولي التبعية له اقتصاديا وصناعيا"[3] ينبه الكاتب إلى خطورة الاستيراد غير الواعي للمناهج الغربية، ويحذر من أن الاكتفاء بتكرار ما يأتي من الغرب دون فحص أو تكييف، يحول الناقد أو الأديب من مبدع حر إلى مجرد "مجترّ" دون إنتاج معرفي جديد، بل يعيد إنتاج التبعية الثقافية كما هو حاصل في التبعية الاقتصادية

1 - د. بن عبد الرحمان عبد الرزاق، مناهج النقد الأدبي المعاصرة، ط1، 1442هـ/2021، حي الكورس عمارات بركامة، بسكرة، الجزائر، ص5.

2 - محمد صابر عبيد، تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى الممارسة، المرجع السابق، ص121.

3 - جهاد فاضل، أسئلة النقد "حوارات مع النقاد العرب"، الدار العربية للكتاب، ص216.

والصناعية، وفي ذلك دعوة صريحة إلى تحقيق استقلالية نقدية وثقافية تحفظ خصوصية الأدب العربي.

"لقد اختبر نقدنا العربي اتجاهات ومناهج كثيرة أغلبها مستقى من أرومة غربية من ديكارت إلى دوركهايم وفرويد ويونغ وسوسير إلا أن إعطاء المنهج أولوية قبيل استقراء المادة المدروسة يخرجها من سياقها الإنساني والتاريخي ويمارس عليها ما أسميه بالقمع المنهجي الذي شهدنا آثاره في دراسة الشعر الجاهلي لطه حسين، المنهج سليم والنتائج غير موضوعية..."[1] أي أنه شهد النقد العربي الحديث تبنيا واسعا لمناهج فكرية وفلسفية وضعها مفكرون غربيون غير أن الإشكال لا يكمن في استعارة المنهج بحد ذاته بل في تقديسه إلى حد جعله مقدما على النص الأدبي نفسه، فعندما يطبق المنهج بشكل صارم ومسبق، يفقد النص حيويته وتفرده، ويفرض عليه إطار نظري قد لا يتناسب مع بنيته أو دلالاته، وهذا ما يسميه الكاتب القمع المنهجي أي إخضاع النصوص لقوالب تحليلية جاهزة تفرغها من بعدها الإنساني والتاريخي.

"إن ظهور هذه الإشكالية ناجم بالأساس عن غياب الوعي بالأصول انطلاقا من النهل من مكتسبات الآخر، والذي لم يكن كمعادلة موازية وموازنة، فالأخذ كان عن طريق استلهام النتائج المتاحة للنظريات الغربية، وليس استلهاما لتداعيات هذه النتائج الناجمة عن مشروع غربي قائم على خصوصية البيئة والظرف الراهن الذي انتجت فيه، إلا أن هذا لا يعني التهجم على النقاد العرب الذين تحمسوا لهذه النتائج كونها تبحث عن علمنة الأدب، انطلاقا من استنطاق النص وليس البحث خارجه"[2]. أي أن النقاد العرب في كثير من الأحيان، أخذوا بالمفاهيم الجاهزة والنتائج التطبيقية التي توصلت إليها المناهج الغربية من دون التعمق في الشروط الفكرية والثقافية التي أنتجتها مع ذلك أن هذا النقد لا يهدف إلى الهجوم على النقاد العرب الذين تبنوا هذه المناهج، لأنهم فعلوا ذلك بدافع رغبتهم في تحديث أدوات النقد وتحقيق نوع من العلمنة في التعامل مع النص الأدبي أي فصل النص عن السياقات الخارجية والتركيز على آلياته الداخلية.

ومنه يواجه النقد العربي الحديث إشكالية حقيقية في تعامله مع المناهج النقدية الغربية، إذ غالبا ما تم اعتمادها بشكل مباشر دون تكييف مع خصوصية النصوص العربية وسياقها الثقافي، هذا التبني غير واعي أفرز نوعا من التبعية المنهجية وأدى إلى غموض في النتائج وضعف في التأصيل ومع ذلك سعت بعض التجارب النقدية العربية إلى تجاوز هذه الإشكالية من خلال محاولة تأصيل المنهج وربطه بالبيئة المحلية ومن ثم فإن حل هذه

1 - د. عبد الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، المرجع السابق، ص122.
2 - د. فاطمة سعدون، المناهج النقدية-إشكالية التطبيق والوعي بالأصول، جسور المعرفة التعليمية والدراسات اللغوية والأدبية، مجلة دورية أكاديمية دولية محكمة، جامعة حسين بن بوعلي، الشلف، 2016، ص ص70-71.

الإشكالية يكمن في تحقيق التوازن بين الإفادة من المناهج الحديثة والوفاء لخصوصية النص العربي.

3- كتاب الطبيعة في ميزان النقد الحديث:

الحديث عن الطبيعة في شعر أحمد سحنون حديث يتطلب الكثير من الدراسات و الوقفات النقدية ولعل المؤلف الذي بين ايدينا يوضح بعض من جوانب شعر الطبيعة من أعمال هذا الشاعر الجزائري ، و بعد قراءة هذا العمل تبينت لنا عدة مسائل نقدية وقف صاحبها في إظهار الخصائص الفكرية و الجمالية من الشعر الجزائري الحديث بصفة عامة و شعر أحمد سحنون بصفة خاصة و قد ادرك الكاتب وتفطن بحس شاعر ان الطبيعة في شعره هي دائما معادلا موضوعيا وفنيا اتخذه الشاعر لرصد بعض من همومه النفسية و الاجتماعية المرتبطة أساسا بواقع الشعب الجزائري وهذا ما ذهب إليه و اكده بعض النقاد و الأدباء من أن شعر الطبيعة لدي شعراء الجزائر لم يكن ملاذا و لا مقصدا رومنسيا بقدر ما كان وسيطا جمع فيه الشعراء بين أعماق النفس وواقع الشعب الجزائري و هذا ما جاء في قول الباحث و الناقد " محمد ناصر" اذ يقول : « فهم في إلحاحهم على دور الشعر الإصلاحي و النضالي لم ينظروا إلى الشاعر على إنه انسان مبدع له عواطف ذاتية واحساسه المرهف و تلك نظرة كان لها آثرها الواضح في الإنتاج الشعري في هذه المرحلة اذ حدد مجالاته و انقص من قيمتها الفنية » [1] إن النقاد والباحثين الذين ركزوا على الجانب الإصلاحي والنضالي في الشعر، قد أهملوا الجانب الإبداعي الذاتي للشاعر، أي أنهم لم ينظروا إليه كفنان يمتلك مشاعر شخصية وأحاسيس مرهفة يعبر عنها في نصوصه. فبدلًا من الاهتمام بجمالية اللغة وعمق التجربة الذاتية، تم حصر وظيفة الشاعر في أداء رسالة اجتماعية أو وطنية فقط،

وقد انعكس هذا التوجه في طبيعة الشعر المنتج خلال تلك المرحلة؛ إذ أدى إلى تجديد موضوعات الشعر، فظهرت قضايا جديدة كالدعوة إلى الإصلاح، ومقاومة الاستعمار، ومناهضة الفساد، لكنها جاءت أحيانًا على حساب القيمة الفنية للنص. بمعنى أن التركيز على الوظيفة التوجيهية والتوعوية قلّل من الاهتمام بالجوانب الجمالية والفنية التي تعد من صميم العمل الإبداعي، كالصور الشعرية المبتكرة، والتعبير عن التجربة الذاتية العميقة، واللغة الشعرية المكثفة. وفي هذا السياق يقول الباحث « لكل فصل عند الشاعر مكانة ورمز لم تكن دلالاتها إلا استحضارا و تصويرا لحال شعبه ، راسما من إختلاف الطبيعة ونوع مسارها نموذجا لطبيعة الحياة التي يجب أن يحياها الشعب الجزائري خصوصا و الشعب العربي على العموم ، حتى ينفض عنه سنين الظلام و الفناء و تنقشع بسواعده السمر دياجير الاستعباد و الاغتصاب ، يغضب تماما كالخريف ليحقق التغيير كالشتاء و يرسم

1-محمد ناصر – الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975) بيروت ط1 1985ص 80.

بسمة الرضا والسلام كما تنقشها الحياة في فصل الربيع ، فتكون ابتسامة الرب لتسعد الكائنات و تهنأ في اطمئنان و جمال وأمن دائما »[1] أي إن الكاتب يوضح العلاقة التي يقيمها الشاعر مع الطبيعة، حيث يُبرز كيف أن لكل فصل من فصول السنة رمزيته الخاصة ومكانته التعبيرية في الشعر. فالطبيعة تُوظّف ليس فقط كخلفية للمشهد الشعري، بل كأداة رمزية لتصوير أحوال الأمة والشعب، وخاصة الشعب الجزائري في سياق معاناته التاريخية.

ومن خلال هذا نحاول تقديم عرض نظري عام للكتاب، تستجلي فيه الخلفيات المنهجية التي اعتمدها الكاتب، ومدى توفيق الكاتب في قراءته لشعر أحمد سحنون من حيث المنهج وموضوعية اللغة؟ وهل استطاع الكاتب أن يلمح الجوانب الفنية والجمالية لشاعر بوصفه لطبيعة؟ وهل استطاع الكاتب أن يحيط بكل الجوانب المعرفية والجمالية والتراثية في تأويل وفهم الشاعر أحمد سحنون؟ وقد جاء تحليلي لهذا الكتاب في إطار تقويم استراتيجياته النقدية وذلك من خلال الوقوف عند الآتي:

أولا-المنهج المعتمد: في كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون - آنموذجا -(سليم كرام) لم يحدد المؤلف منهجا نقديا مميزا بل حاول قراءة الشاعر (أحمد سحنون) قراءة تحليلية وجمع فيها مناح كثيرة من تحليل و تأويل يوافق الطبيعة الشعرية و الثقافة الدينية المهيمنة على روح الشاعر و هذا واضح في قوله "وقد امتطت هذه الدراسة التنوع المنهجي الذي فرضته نوعية التناول وتشعب التحليل"[2].

حيث اعتمدت هذه الدراسة أكثر من منهج نقدي، وذلك بسبب طبيعة الموضوع، إذ يتطلب هذا النوع من التحليل التعامل مع جوانب متعددة، لغوية جمالية فكرية، وتاريخية وبالتالي لم يكن من الممكن الالتزام بمنهج واحد فقط، بل تطلب الأمر الاستعانة بعدة أدوات ومقاربات نقدية تسمح بفهم النصوص من زوايا مختلفة، وهو ما يعرف بالتنوع المنهجي "إن دعوة عبد الملك مرتاض إلى الانفتاح على أكثر من منهج في القراءة النقدية والتخلي عن فكرة التعصب للمنهج النقدي الواحد التي يراها سذاجة من الناقد ومغالطة في حق النص"[3] أي أنه يرفض الجمود المنهجي والتعصب لنمط واحد من القراءة النصوص هو نوع السذاجة النقدية وموقف قاصر لا يعني النصوص الإبداعية حقها في التحليل والتأويل، وهذا ما تلمسه الكاتب سليم كرام حيث لم يعتمد على منهج واحد في قراءته للنصوص، بل حاول الجمع بين التحليل الموضوعاتي، والقراءة الأسلوبية والبعد الثقافي والتاريخي، مراعيا في ذلك تجربة الشاعر الذاتية وظروفه السياسية والاجتماعية، خاصة في قصائد

1_سليم كرام ، الطبيعة في شعر الجزائري الحديث أحمد سحنون (آنموذجا) ، الجزائر وزارة الثقافة ، ص 153

2 - سليم كرام، المرجع السابق، ص12.

3 - د. ريمة لعواس، تعدد المناهج في قراءة النص الأدبي المعاصر، (بحث في جهود عبد الملك مرتاض النقدية)، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الجزائر 2، تاريخ النشر 2021/02/28، المجلد 8، ص91.

السجن والمقاومة، فقد سعى كرام إلى إبراز الجوانب الجمالية والفنية في شعر سحنون، دون إغفال البعد النضالي والتراثي، وهو ما يعكس وعيه بأهمية التكامل المنهجي في النقد.

ثانيا- الجوانب الفنية والجمالية: استطاع سليم كرام إلى حد كبير أن يسلط الضوء على البعد الجمالي والوجداني في وصف سحنون للطبيعة في قوله "فالطبيعة حال من الأحوال التي عاشها، وقد استلذ آلامه، وأداة ينحت منها صورا تعبر عن ظروفه الخاصة ووسائله في مناهضة الاستعمار"[1] حيث نوه الكاتب إلى أن سحنون يصوغ من الطبيعة صورا شعرية نابضة بالوجدان، تظهر طاقته على تحويل التجربة الذاتية إلى بناء فني جمالي ومن ذلك، يمكن القول إن الكاتب سليم كرام اكتفى بإشارات عامة إلى الجمالية الفنية دون الخوض في تفاصيل الأسلوب الشعري أو التركيب اللغوي بدقة.

وقد منح الكاتب الشاعر مساحته الإنسانية والروحية، وقرأ القصائد في ضوء التجربة القاسية التي خاضها، مما أضفى على تحليله بعدا إنسانيا عميقا "لقد أراد الشعراء إشراك الطبيعة في التعبير عن معاناتهم وغربتهم الروحية في وطن بات قاب قوسين أو أدنى من الفناء والاندثار، بل والذوبان في روح تختلف عنه اختلافا جذريا تاريخيا وجغرافيا واجتماعيا وانتماء روحيا"[2]. أي أن الطبيعة لم تعد مجرد عنصر وصفي أو خلفية جمالية، بل أصبحت شريكا وجدانيا للشاعر في التعبير عن غربته وألمه وحنينه إلى وطنه المهدد.

ثالثا-الإحاطة بالحقول المعرفية والجمالية: استطاع (سليم كرام) أن يبرز بعض المرجعيات المعرفية التي يتكئ عليها الشاعر أحمد سحنون، خاصة تلك المرتبطة بالجانب الديني في تشكيل الصورة الشعرية "والجمال في القرآن ليس مجرد وصف يغلب على المظهر الذي يصوره، بل هو التعبير عنه بأدق المعاني، وأجمل التعابير وأفضل الدلالات، وأبلغها لغة العرب وبيانها، حتى غاب جمال المظهر وذاب في جمال الآية، حسن تقديمها لتلك المظاهر الطبيعية"[3] أي أن الجمال في القرآن ليس غرضا شكليا، بل وسيلة تعبير عن الحقائق بأقصى درجات الفصاحة والبيان، مما يجعل النص القرآني يسبق الشعر والنثر العربي في تصوير الطبيعة لا من حيث الدقة فقط بل من حيث الوظيفة الجمالية والروحية أيضا.

"فالطبيعة مصدر إيحاء بالمعاني يملأ النفس بالرموز والدلائل والإيحاءات، ما جعلها تغدو قيمة للعديد من التوجيهات الاجتماعية والثقافية، فقد وظفها الشاعر عنوانا للكشاف فوضع نشيدا لذلك وطاف من خلالها بمعشوقته في أبهى حلل جمالها وقد دثرها بروحه الجميلة بردة الحسن والبهاء والإلهام"[4]. فالطبيعة ليست محايدة في النص الشعري، بل تتحول إلى

1 - سليم كرام، الطبيعة في شعر الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص134.
2 - سليم كرام، المرجع السابق، ص ص113-114.
3 - المرجع نفسه، ص60.
4 - المرجع نفسه، ص135.

فضاء رمزي يعكس انفعالات الشاعر وأحاسيسه، إنها مرآة للذات، تمدها بالإلهام وتعزز من قدراتها التعبيرية ولهذا أصبحت الطبيعة في الشعر الحديث قيمة فنية وثقافية تتداخل مع رموز الحب، الحنين، الثورة، والروح الوطنية.

رابعا-النضال والمقاومة: واحدة من أهم نقاط التوفيق في قراءة الكاتب سليم كرام هي ربط بين حضور الطبيعة وفكرة النضال، وهو ربط له ما يبرره في تجربة أحمد سحنون، خاصة أن الشاعر قضى فترات من حياته في المعتقلات الفرنسية لقد التقط الكاتب ببراعة كيف أن سحنون حول العناصر الطبيعة إلى رموز نضالية فالطير يصبح رمزا للحرية في قوله.

"كما اتخذ الشاعر من صوت الطير دلالة متنوعة تباينت حسب حالته النفسية، فرأى من الرمز وسيلة تعبيرية عما يشعر به فكانت في حالة الفرح مبعثا على المسرة والإنشاء والرجاء، فقد رحب بسرب الطير المفرد وقد اعتبر صوته بلسما يداوي جراح الجزائريين، وبفضل هذا الصوت يذهب عن كل قلب حزين ما يكابده من أسى وحزن"[1] يتضح من هذا القول أن الطير وصوته في شعر أحمد سحنون لم يكن مجرد عنصر طبيعي خارجي، بل تحول إلى رمز تعبيري متعدد الدلالات يعكس الحالة النفسية للشاعر، وينقل مشاعره بعمق وشفافية، بذلك يتجاوز الرمز الطبيعي بعده الحسي ليتحول إلى دلالة نفسية ووطنية.

وفي الأخير يعد كتاب الدكتور سليم كرام مساهمة نقدية جادة في دراسة صورة الطبيعة في الشعر الجزائري لما قدمه من تحليل عميق لرؤية أحمد سحنون للطبيعة كجمال والمقاومة، رغم بعض الثغرات المنهجية والتحليلية التي كان بالإمكان تجاوزها ومع ذلك فإن الكتاب يفتح المجال لقراءات جديدة تكمل هذه الرؤية، وتعمق البحث في التجربة الشعرية الوطنية من خلال أبعادها الفنية والجمالية.

4- اللغة النقدية:

تعد اللغة النقدية من الركائز الأساسية التي يقوم عليها العمل النقدي في صورته المعاصرة، فهي ليست مجرد وسيلة تعبير عن الانطباعات أو الأحكام، بل هي جهاز مفاهيمي إجرائي يتيح للناقد مقاربة النص الأدبي بكفاءة، وفهم بنياته الداخلية، والتفاعل مع مقاصده الجمالية والدلالية إذ تتحول اللغة في الخطاب النقدي من أداة للتوصيل إلى أداة للتحليل والكشف والتأويل.

تشكل اللغة النقدية مفهوما خاصا في الممارسة النقدية الحديثة وهذا من خلال دراسة النصوص الإبداعية ونقدها وفهمها وتقديمها للقراء، ويؤكد النقاد والباحثون أن العملية النقدية تختلف من ناقد إلى آخر وهذا من حيث اللغة وتوظيف المصطلح النقدي وطريقة

1 - سليم كرام، المرجع السابق، ص202.

العرض والتحليل ومستوى العمق والسطحية وعليه فالعملية النقدية هي مشاركة معرفية ووجدانية بين المبدع والقارئ والناقد "فالمبدع يخضع للقيود ويفسح المجال لخياله ولإبداع نصه والمحلل يخضع للقيود أيضا ويفسح المجال لخياله ليتفاعل مع النص، ويتجاوز منطوقه إلى مفهومه، ويملأ الثغرات التي يحتوي عليها النص بطريق أنواع الاستدلال، فالمبدع مدفوع بالطبيعة البشرية والخصائص اللغوية وجنس النص والسياق، والمحلل محكوم بنفس الإكراهات"[1].

ومن هذا التصور نقول إن الطبيعة اللغوية للنقد يجب أن تكون ملائمة لروح النص وثقافته وعمره ولذلك جاءت اللغة النقدية في هذا المصنف لغة تحليلية بسيطة عمد فيها الكاتب إلى تحليل الأفكار لرؤية تناسب مقام الثقافة التي ينتمي إليها الشاعر يقول الكاتب "والليل قد تماهت دلالته فخرجت من مجرد فترة من الزمن إلى أعمق الدلالات فهو وطء قد جثم على جسد الشاعر فما استطاع منه الفكاك ولا دفع آلامه، فكأنما نجومه تكوي فؤاده المخزون وتلوع جوانبه بسياط الذكرى..."[2] حاول المؤلف في عمله الأدبي مسايرة الشاعر وفهم شعره من خلال لغته الخاصة والتي تحولت على يديه إلى عوالم لها دلالات ومقاصد "لأن الكلمات تكف عن الإحالة على الأشياء وتتحول الكلمات موجودات في ذاتها ولذاتها..."[3].

إن اللغة النقدية تتحول إلى نشاط معرفي يتسم بالوضوح والموضوعية في النظر إلى حقيقة الأعمال الأدبية ووضعها في موضعها المستحق فكل كلمة هي إشارة فكرية ترسم إحساسا ومضمونا خاصا يجعلنا نفهم المقاصد والأبعاد، فالقارئ هو ناقد بشكل من الأشكال، وهو أيضا متلقي يفهم ويؤول ويفسر "ثم إن المتلقي يتقدم صوب النص وكأنه مجموعة من النصوص تشكل خبرته السابقة إن القارئ يستعين بموسوعة المعرفية من أجل الكشف عن معاني النص..."[4] أي عملية القراءة لا تحدث في فراغ، بل تتم من خلال ما يعرف بالموسوعة المعرفية التي يمتلكها القارئ، وهي مجموع المعارف والخبرات الثقافية واللغوية والجمالية التي راكمها من خلال قراءاته السابقة وتجربته الحياتية، فعندما يقرأ القارئ نصا أدبيا، لا يكتفي بقراءاته كما هو بل يفعل خلفيته الثقافية ومخزونه المعرفي لفهم ما هو ظاهر، والكشف عما هو ضمني، فالنص من منظور التلقي لا يعتبر وحدة مغلقة بل يتداخل داخله العديد من النصوص الأخرى.

وفي هذا المؤلف لم يخرج صاحبه عن مقولات الباحثين الجزائريين في ونقد وقراءة دواوينه الشعرية والتي جمع فيها بين اللغة الشعرية الثورية واللغة التصويرية ذات الطابع

1 - محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص ص31-32.
2 - سليم كرام، المرجع السابق، ص ص55-65.
3 - خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، إفريقيا الشرق، الرباط، ط1، 2012، ص59.
4 - المرجع نفسه، ص36.

النفسي والوجداني وبالتأكيد فالباحث نظم لغته النقدية وفق آراء النقاد الذين استدل بهم في الميدان شعر الطبيعة كقوله مثلا "ما يمكن الانطلاق منه سلفا هو إقرار الدارسين للأدب الجزائري في موضوع الرمز في الشعر الجزائري، أنه لا يمكن اعتباره اتجاها فنيا تبنته التجربة التعبيرية لشعرائنا، ورسخت معالمه الدالة على فلسفة استخدامه، كما أقره أقطاب هذا الاتجاه غريبا، أو ما وصل من وفاض ثقافته شرقيا إلى أنفس اتخذت الشعر وسيلة لإعلان قضية هامة والنضال من أجلها".[1]

وبهذه الرؤية تتحدد الثقافة النقدية لتكون مرجعية نقدية تستند إلى التحليل والاستقصاء والمقارنة الموضوعية وهذا ما جاء في كتاب الباحث سليم كرام في إطراحه لمفهوم الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث بصفة عامة وشعر أحمد سحنون بصفة خاصة، ولهذا نقول أن اللغة النقدية التي التزم بها الكاتب تجنح إلى التحليل والتعليل في شرحه لبعض قصائد شعر أحمد سحنون وخاصة في الجانب الرومنسي المتمثل في أن الشعر حاول أن يجد معادلا موضوعا يزاوج بين الحس الثوري والجانب النفسي انطلاقا من الموضع المأساوي التي تعيشه الجزائر ومن أمثلة ذلك يقول الشاعر أحمد سحنون أبياته:

يَا صَامِتًا يَتَكَلَّمُ وَضَاحِكًا يَتَأَلَّمُ

وَيَا خَطِيبًا بَلِيغًا وَمُعْرِبًا وَهُوَ أَعْجَمُ

وَيَّا مَانِحًا كُلَّ سِرٍّ لِشَاعِرٍ يَتَرَنَّمُ

لَكِنَّهُ عَنْ سِوَاهُ بِسِيَرِهِ يَتَكَتَّمُ

يَا رَاضِيًا مُطَمْئِنًا وَسَاخِطًا يَتَبَرَّمُ

وَيَا حَلِيمًا وَقُورًا وَثَائِرًا لَيْسَ يَرْحَمُ

وَيَا شَادِيًا يَتَغَنَّى وَشَاكِيًا يَتَظَلَّمُ

وَيَا مُوَدِّعًا كُلَّ لُغْزٍ وَيَا حَاوِيًا كُلَّ مُبْهَمٍ[2]

قرأ الكاتب هذه الأبيات الشعرية قراءة تحليلية اعتمد فيها على إجلاء الصور الفنية وهذا في مناجاة البحر وهو الفكرة التي وجد فيها الشاعر أبعاده النفسية كون البحر يحمل عدة دلالات وجدانية كما فعل ذلك صديقه الشاعر محمد العيد آل خليفة يقول الباحث سليم كرام في هذا الصدد "وعدد الدارسون لديوانه أكثر من أربع قصائد كان موضوعها

1 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، ص233.
2 - أحمد سحنون، الديوان، ص34.

المحوري البحر، وأفكارها الجوهرية تصويرا لمشاعره النفسية وحزنه وألمه، سواء أكان في السجن معتقلا أو حرا طليقا"[1]

فقد جاءت لغة الكاتب لغة واضحة فيها استرسال (وفهم بسيط لجانب الوجداني للشاعر ونراه مرة أخرى يحلل نص آخر في موضوع البحر كقوله:

يا بَحْرٍ كَأَنَّكَ لَوَّحْ فِيهِ الْحَقَائِقُ تَرْسُمُ

يَا بَحْرَ يَا إِلْفَ رُوحِي وَأَنْسَهَا حِينَ تَسْأَمُ

نَجُوَاكْ دُنْيَا خَيَالِي إِذَا دَجَا اللَّيْلُ خَيَّمَ

فَفِي هَدْيِكَ شَعْرْ بَهَ النَّسِيمِ تَرْنِمُ

وَفِي صَفَائِكَ سِحْرٌ كَأَنَّهُ سِحْرٌ مُبْسِمٌ[2]

ولهذا الطرح النقدي يمكن لنا القول بأن قراءة الكاتب لشاعر أحمد سحنون (هي قراءة تجمع جوانب كثيرة من الثقافة والسياقات التاريخية التي عايشها الشاعر لأن المؤلف لم يخرج من الإطار الثقافي الذي عايشه أحمد سحنون في مرحلة من الاستعمار الفرنسي، فالمعجم اللغوي أو المرجع الذي اعتمده الكاتب فيه الكثير من الاستدلالات والشواهد الشعرية وخاصة في جانب اللغة كونها "هي المظهر الأوسع ولأنها تشمل كل الطاقة الإنسانية للكلام"[3] ومن جانب آخر لجأ الباحث إلى أسلوب المقارنة أو الموازنة في فهم بعض قصائد الشاعر أحمد سحنون وخصوصا في شعر الثوري أو الحس الوطني ومن أمثلة ذلك وصف الشاعر لليل إذ يقول:

وَاهْتَفِي إِنَّ دَجَى اللَّيْلِ انْجَلَى وَشُعَاعُ الْفَجْرِ قَدْ وَشَى الْهِضَابَا[4]

يقول مؤلف في تحليله لهذا البيت مقارنا إياه بما قاله امرئ القيس لوصفه لليل "وإن كنا نلمح في نبرة صراخ الشاعر بعض من العزة والاستبشار، فلا شك أن "سحنون" ما زال يربط بين ظلام الليل والهم الذي حل بالأمة من خلال الظلم المسلط عليها، مستعيرا من امرئ القيس الفعل (انجلى) الذي يوحي بالطول الممتد في عمق الحزن والأسى والألم الذي عاشه، وقد اختنقت آماله ودجى يومه فاكفهرت أحلامه، وهو كذلك يشاركه في سدول الليل حين جعله سدول هموم لا سواد"[5].

1 - المرجع نفسه، ص179.
2- أحمد سحنون، الديوان، ص35.
3 - د. أحمد زغبي، استراتيجيات القراءة: التأصيل والإجراء النقدي، دار الكندي، دمشق، ط1، 1998، ص58.
4 - أحمد سحنون، الديوان، ص115.
5 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، ص ص187-188.

إذن فاللغة النقدية ليست محايدة بل تنقل وعيا نقديا يتوسط بين النص والقارئ، وتسهم في بناء المعنى عبر التحليل والتفسير والتأويل وهي تقوم على الدقة والوضوح والتماسك، مما يجعلها أداة فعالة في العملية النقدية التي بدورها تمثل فعلا تواصليا بين المؤلف، الناقد المتلقي، وقد مثل الدكتور سليم كرام نموذجا متميزا في هذا السياق، إذ جمع في ممارسته بين الانضباط العلمي والذوق الجمالي، مستثمرا لغته النقدية في الكشف عن القيم الجمالية والدلالية في شعر أحمد سحنون، مما يدل على وعي منهجي رصين، واهتمام واضح بتوجيه القارئ نحو قراءة متعمقة للنصوص الشعرية.

الفصل الثانـي

الاستراتيجية النقدية في كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون-انموذجا-لـ: "د. سليم كرام"

1- البناء المعرفي.
2- البناء المنهجي.
3- مصادر التحليل النقدي والمرجعيات.

1- البناء المعرفي:

يعد البناء المعرفي لأي دراسة نقدية مرتكز أساسيا لفهم طبيعة التحليل الذي قدمه الباحث، وهو المرجعية والمصادر التي اعتمدها الكاتب في تناوله لموضوع الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث ومن خلال شعر أحمد سحنون والسؤال المطروح في هذا؟ معرفة الأدوات النقدية التي اعتمدها الكاتب كمعرفة ومنهج ولغة إضافة إلى المعارف التي أفادنا بها الكاتب من خلال شعر أحمد سحنون الذي مزج بين الذاتية والحس الثوري بمعنى أننا نود استجراء المعرفة النقدية التي وظفها الباحث في موضوعه هذا، وهذا بدراسة الأفكار التي طرحها الباحث في كتابه هذا، ونعني بذلك تلك الموضوعات المبسوطة في خطة البحث كمفهوم الشعر والجمال وطبيعة ونوعية الصورة الشعرية لدى أحمد سحنون وخاصة في فكرة ربط الشاعر البعد الديني بالبعد الجمالي ومن المعارف التي يمكن تسجيلها في هذا المقام هو تفرقة الكاتب بين الشعر الرومنسي والشعر الوجداني ففي رأيه أن الرومنسية هي ارتباط كلي لذات والتوحد المطلق مع المظاهر الطبيعية أما الوجدانية فهي معادل موضوعي يتكأ عليه الشاعر قصد إثارة همومه وأحزانه المرتبطة بواقع الجزائر، وواقع ثوري يخيم ظلم الاستعمار.

ومن باب المعرفة يمكن لنا استحضار مرجعية المعرفية التي اعتمدها الكاتب في تحليله لنصوص الشعرية لأحمد سحنون وهذا يتمثل في جمع الكاتب لمختلف المصادر الأدبية ذات الصلة بالموضوع كفهمه لمصدر الفن وتاريخ الجمال، حيث أن الكاتب ناقش مفهوم الجمال من خلال رؤى فلسفية وأدبية، إذ يقول في المجال "الجمال شيء معنوي قد تراه العين في أبسط الأشياء وتعمى عنه في أعظمها"[1]، حيث أن الجمال ليس صفة حسية يمكن إدراكها بالحواس، بل هو مفهوم معنوي يعتمد على نظرة الإنسان للأشياء من حوله حيث يمكن أن نجد الجمال في تفاصيل الحياة اليومية مثل في ابتسامة طفل، أو زهور تتفتح في حديقة هذه اللحظات البسيطة تحمل معاني عميقة وتجعلنا نشعر بالامتنان للحياة، أي أن تعكس هذه العبارة فكرة أن الجمال ليس مطلقا، بل هو تجربة ذاتية تختلف من شخص لآخر فالبعض قد يرى الجمال في البساطة والتناسق، بينما قد يبحث آخرين عنه في العظمة والضخامة، ويرتبط ذلك بمدى حساسية الإنسان ورؤيته الداخلية إذ أن العين قد ترى الشكل، لكن القلب والعقل هما من يدركان المعنى الحقيقي للجمال، والجمال هو مفهوم معقد يتجاوز ما تراه العين.

حيث أنه تدرج وتسلسل في فهم الأفكار حتى يصل الكاتب عصر النهضة ثم الطبيعة في شعر الجزائري الحديث وهذا يدل على استيعاب الكاتب وفهمه لطبيعة الشعرية والالتزام لقضايا المجتمع إذ يقول في هذا المجال "الطبيعة خلوة الرومانسي وروضة

1 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، أحمد سحنون (أنموذجا) الجزائر وزارة الثقافة، ص23.

قدسية، بل هي معبد الصلاة واستكانة العواطف التي يخاطب من خلالها عمق ذاته وكفة وجوده ويمتلئ فيه بالنشوة، وينشد من خلاله الهيام الذي افتقده في عالم البشر، بعد أن خلا منه بل ومن كل قيم الجمال"[1]. يعتبر الرومانسيون الطبيعة مكانا للهروب من التعقيدات الاجتماعية والضغوط النفسية، في خلوة الطبيعة، يجد الفرد مساحة للتأمل والتفكر، مما يسمح له بالتواصل مع ذاته الداخلية، حيث أن الطبيعة توفر بيئة هادئة تساعد على استجماع الأفكار والعواطف يمكن أن تكون الأشجار، الأنهار، والجبال أما كان تعبر فيها المشاعر عن نفسها بحرية، بعيدا عن القيود التي تفرضها الحياة المدنية، وإن الطبيعة ليست فقط مكانا للعيش، بل هي أيضا معبد للصلاة والتأمل، حيث يمكن للفرد أن يستعيد جزءا من إنسانيته المفقودة.

وقد ارتبط مفهوم مدلول الطبيعة ومفهوم الجمال لدى الفلاسفة والأدباء بإدراك عقلي محض[2]، حيث "ذهب بعضهم إلى أن الطبيعة جميلة بكل ما فيها، بل هي نموذج الجمال وأصله، وهي مقياسه ومعياره، إنها تجسيد للروعة والكمال..."[3] يعني أن الطبيعة من المنظور فلسفي وجمالي ليست مجرد فضاء خارجي يحتوي على مظاهر جمالية، بل هي مصدر أساسي للجمال وأصله، وحيث تمثل معيارا حقيقيا للجمال في أبهى تجلياته، تبرز الطبيعة تناسق، التناغم، والكمال في كل مظاهر من مظاهرها، من أبسط التفاصيل كأوراق الشجر إلى أعظم المشاهد كالأفق عند شروق الشمس.

"وذهب بعضهم إلى أن الطبيعة لا توصف بالجمال، كما لا توصف بالقبح فما هي إلا مستودع عناصر أو معجم مواد، وهذا يعني نفي الجمال عنها"[4].

وهذا يعني إن الطبيعة ليست مجرد مجموعة من العناصر الجميلة أو القبيحة بل هي نظام معقد يتكون من مجموعة متنوعة من العناصر والمواد، بمعنى أن الطبيعة هي مستودع غني بالعناصر والمواد، وليس من العدل تقييمها فقط من خلال مفاهيم الجمال والقبح، ففهم الطبيعة يتطلب النظر إليها من منظور شامل يعكس تعقيدها وتنوعها.

تعد الطبيعة من المفاهيم المحورية التي شغلت الفكر الإنساني عبر العصور، حيث كانت مصدرا إلهام للفلاسفة والأدباء والفنانين، فقد شكلت الطبيعة عنصر أساسيا في تشكيل الوعي الجمالي والروحي للإنسان، ومع تطور التيارات الأدبية، أخذ مفهوم الطبيعة أبعاد مختلفة، كان أبرزها في العصر الرومانسي، وفي هذا السياق منح الرومانسيون الطبيعة مكانة متميزة، إذ يقول الكاتب في هذا المجال "فأضحت الطبيعة ملاذهم واستلذوا في

1- سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص39.
2- المرجع نفسه، ص41.
3- صالح أحمد الشامي، ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام، ص17.
4 - صالح أحمد الشامي، ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام، المرجع السابق، ص43.

أحضانها الوحدة والخلوة إلى ذواتهم فاندمجوا معها في روح تتكامل أجزاؤها على عتبات الإحساس بالتماهي"[1].

أي أن كاتب يوضح أن الرومانسيين لم يروا الطبيعة كمجرد مشهد جمالي، بل ككيان حي يتفاعلون معه نفسيا وروحيا، فقد كانت بالنسبة لهم مصدرا للإلهام والعزلة الهادئة.

ويقول أيضا في هذا السياق "فالرومنسي يحرص على أن يجعل مظاهر الطبيعة تتجاوب مع الحالة النفسية، لتعبر عن هذه المشاعر الذاتية، وتتخذ من أبسط هذه المظاهر صورة ذاتية عميقة وروحه المتناغمة مع هذه المظاهر في هذا الوجود، فقد يشترك المصير الشعوري في عمقه بين نفسه المعذبة المتألمة..."[2]. بمعنى أن الرومانسي لا يصف الطبيعة لمجرد جمالها، بل يجعلها تتجاوب مع مشاعره ويعكس آلامه وأفراحه، هذا التفاعل الحسي بين الإنسان والطبيعة شريكا في التعبير عن المعاناة الداخلية والاضطرابات الوجدانية، في هذا السياق يتشابك المصير الشعوري للإنسان مع مظاهر الطبيعة، ليعكس تناغما روحيا بين الذات والوجود.

وفي مفهومه لطبيعة وتوظيفها توظيف جماليا تعرض الكاتب للألوان ومظاهر مختلفة للرومنسية في الشعر الجزائري وربطها بالأدب الرومنسي في الوطن العربي إذ يقول الكاتب في هذا السياق. "إضافة إلى أن رؤية الشاعر الجزائري للطبيعة موجهة إلى مظاهر بلاده وحدها، فهو حينما يعبر لا تحضره في ذلك صورة الطبيعة الأم"[3]. ترتبط رؤية الشاعر الجزائري للطبيعة ارتباط وثيقا ببيئته المحلية، حيث يستمد صورها وعناصرها من مظاهر الطبيعة لبلاده دون تأثر بالصور الجمالية المستوردة من بيئات أخرى فهو حينما يعبر عن مشاعره، لا يستحضر الطبيعة في مفهومها المجرد أو كما صورتها الأدبيات الغربية، بل يعكس طبيعة الجزائر بكل تفاصيلها الواقعية، سواء كانت الجبال، الصحاري، الواحات، السهول أو البحر.

ويقول أحمد سحنون:

أَصَحْرَاءُ ضَمِّينِي إِلَيْكِ فَإِنَّنِي! وَحَقُّكِ مِنْ سَكَنِي المَدَائِنِ أَضْجَرُ

أَنَا ابْنُكِ قَدْ لَقِيتُ حُبَّكِ نَاشِئًا وَإِنِّي عَلَىٰ ذَا الحُبِّ لَا أَتَغَيَّرُ

وَشَاعِرُكِ البَانِي عَلَاكِ وَمَنْ غَدَا بِمَجْدِكِ فِي الدُّنْيَا يَتِيه وَيَفْخَرُ!! [4]

1 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص41.
2 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص44.
3 - المرجع نفسه، ص91.
4 - أحمد سحنون، الديوان، ص31.

هذه الأبيات تظهر مدى حب الشاعر لوطنه الجزائر واعتزازه بانتمائه لها، أي أن الشاعر يخاطب الصحراء التي تمثل جزءا جوهريا من وطنه طالبا منها أن تحتويه، وإبراز مكانة الجزائر العظيمة، حيث يفتخر بها العالم لمجدها وتاريخها العريق، والأبيات تبين لنا اعتزاز الشاعر بأرضه خاصة صحراءها باعتبارها رمزا للأصالة والارتباط بالجذور، كما يؤكد على أن هذا الحب غير قابل للتغير، وأن الجزائر ستظل مصدر الفخر لأبنائها وللعالم بأسره.

"وهذه الصحراء مهد السحر والجمال ومرتع الشعر والخيال"[1]

أي أن الصحراء مصدر إلهام للشعراء، إذ تمنحهم حرية التأمل والإبداع حيث الهدوء الممتد والأفق الواسع يفتحان المجال لتدفق الأفكار والمشاعر وهذا يتماشى مع التصور الرومانسي للطبيعة كمصدر للإلهام والخيال، حيث الشاعر يجد في الصحراء فضاء مناسبا للتعبير عن عواطفه وأفكاره بحرية مطلقة.

"والشاعر محمد العيد هو الآخر تصدى لوصف الطبيعة، فأعطاها حقها في شتى المواقف وقف يوما أمام البحر فناجاه بقصيدة منها هذا البيت:

يا بحر أفديك بحرا ملكت قلبي سحرا"[2]

يبين البيت عن علاقة الشاعر العاطفية العميقة بالبحر، حيث يجده مصدر إلهام وسحر، لدرجة أنه مستعد للتضحية لأجله.

ويقول أحمد سحنون:

يَا بَحْرُ يَا رَمْزَ الجَمَالِ السَّاحِرِ وَمَهْبِطَ الوَحْيِ لِقَلْبِ شَاعِرِ

وَمَطْمَحَ الأَنْظَارِ وَالمَشَاعِرِ وَمُفَرِّغَ النَّاسِ لَدَى الهَوَاجِرِ[3]

في هذه الأبيات، يقدم الشاعر صورة شاعرية للبحر، حيث يجعله رمزا للجمال والسحر، ما يعكس الانبهار الذي يثيره البحر في نفس البشرية حيث يجد الشاعر في البحر مواساة وصدى لألمه الداخلي ورفيقا في عزلته كما هو مبين في هذه الأبيات:

وَوَجَدْتُ فِيهِ لِآمَالِيَ مُتَشَابِهَةً كَمَا وَجَدْتُ لِآلَامِي مُوَاسَاةً

أُقْضِي إِلَيْهِ بِهِمْ زَادَ لَاعِجِهِ نَوْمِي فَأَفْلَتَ مِنْ عَيْنِي إِفْلَاتًا

وَالْبَحْرُ خَيْرُ صَدِيقٍ مَا شَكَوْتُ لَهُ إِلَّا أَوْلَاكَ إِصْغَاءً وَإِنْصَاتًا

1 - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، رقم النشر 170/69، ص316.
2 - المرجع نفسه، ص320.
3 - أحمد سحنون، الديوان، ص36.

هُنَاكَ أَنْسَى جُوَى حُزْنِي بِجَانِبِهِ وَلَا أَحِسُّ لِأَتْعَابِي مُعَانَاتَا

وَهَلْ أَرَى صَاحِبًا كَالْبَحْرِ أُوْلِيَهُ صَفْوَ الوِدَادِ وَيُولِينِي مُصَفَّاتَا[1]

يبين الشاعر في هذه الأبيات أن البحر أصبح مستودع لأحزانه وهمومه، فهو المكان الذي يجد فيه بعض السلوى، حيث يعتبره مستمعا صامتا لا يفشي أسراره، حيث لا يجد في البشر من يواسيه أو يستمع إليه بقدر ما يفعل البحر، يبدو البحر في الأبيات وكأنه الصديق المثالي الذي يمكن للإنسان أن يلجأ إليه في لحظات الضيق.

أي أن الشاعر الجزائري يظهر تفاعله العميق مع عناصر الطبيعة، فقد أصبحت الطبيعة بمختلف مظاهرها ملجأ له، يهرب إليها من قسوة الواقع، مما جعلها تلعب دورا أساسيا في تشكيل تجربته الشعرية لذلك تحتل مشاهدة الطبيعة مثل: البحر والصحراء والربيع...مكانة بارزة في قصائده.

الطبيعة في الشعر الوجداني ليست فقط خلفية أو مشهدا خارجيا يصفه الشاعر، بل هي تعبير عن مشاعره وأحاسيسه الداخلية، أي أنه نابعة من ذاته، الطبيعة تصبح وسيلة يعكس بها الشاعر ما يشعر به في داخله سواء كان ذلك حزنا أو فرحا أو حبا، في الشعر الوجداني، لا ينظر للطبيعة كعنصر منفصل عن الإنسان، بل كشيء مرتبط به، يتفاعل معه ويعبر عنه، ولقد فرق الكاتب سليم كرام بين الشعر الوجداني والشعر الرومنسي بطريقة دقيقة تعتمد على جوهر التجربة الشعرية وليس فقط على الشكل أو الصورة، فالشعر الوجداني في نظره هو شعر ينبع من الإحساس الصادق والتجربة الذاتية العميقة، بينما يقوم الشعر الرومنسي على الخيال الواسع، ويعتمد على التجميل الفني والصورة البلاغية إذ يقول في هذا المجال "فالطبيعة في مفهوم الشعر الوجداني الذي جرت عليه بعض أقلام شعرائنا، وأشبعته بالصور وأغنت روافده بمد من المدلولات والرموز لم يكن ذات تصور الرومانسيين لها، ففي حين يرى هؤلاء الطبيعة رمزا عاما لا مظاهر خاصة ودلالة تكون محور التجارب الشعرية في إبداعاتهم، فهي الأم الرؤوم وهي الملهم الأول والأخير يرتمي العاشق في أحضانها ليرسم مظاهر روحه..."[2] أي أن في الشعر الوجداني، لم تعد الطبيعة مجرد خلفية للأحداث أو إطار خارجي للتجربة الشعرية، بل أصبحت جزءا حيا من وجدان الشاعر، وأداة للتعبير عن مشاعره الداخلية، فكانت الطبيعة بالنسبة إلى الشعراء مرآة لأحاسيسهم وتجارهم الذاتية، لكن هذا التصور للطبيعة يختلف عن النظرة التي تبناها الشعراء الرومانسيون، فهؤلاء لم ينظروا إلى الطبيعة بوصفها مجرد مظاهر حسية أو تفاصيل مرئية، بل اعتبروها رمزا شاملا ودلالة كبرى تحتوي تجربة الإنسان الوجدانية كلها، بالنسبة إليهم الطبيعة هي الأم الرؤوم التي تحتضن الشاعر، وتكون مصدر إلهامه

1 - الديوان، ص42.
2 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص ص110-111.

الأول والأخير، حيث يجد فيها ملاذا يعبر من خلاله عن خلجات روحه، وأحزانه، وأحلامه.

"أما قصائد الشاعر الوجدانية، ففيها كثير مما نجده عند الوجدانيين من تصوير لمظاهر الطبيعة المتصلة بشجون النفس أحيانا، وبفرحتها أحيانا أخرى، وتعبير عن وحشة الشاعر وتفرده وعواطف الحب الذي يتخذ الشاعر من الطبيعة خلفية له"[1] أي أن في قصائد الشاعر الوجدانية، نلاحظ تأثيره الكبير بالطبيعة واستخدامه لها كوسيلة للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه الداخلية، فهو أحيانا يصور مناظر الطبيعة لتعكس حزنا أو شوقا يعيشه وأحيانا أخرى يعبر من خلالها عن الفرح أو الحب، الطبيعة عنده ليست مجرد خلفية جمالية، بل عنصر أساسي ينسجم مع حالته النفسية "وقد برز إلى الساحة الأدبية الجزائرية شاعران يتميزان بنظرة وجدانية رومانسية، واتضحت في شعرهما نغمة التغني بالألم الذاتي، وجعلته مدارا للشعر اتضاحا قويا وهما الشاعرين "أحمد سحنون" و"مبارك جلواح"[2]".

وفي هذا السياق يقول الكاتب سليم كرام "إن جنوح الشعراء إلى اتخاذ الطبيعة وسيلة لتصوير أحاسيس الألم مثلا، إنما كان انطلاقا من معاناة شعب يعيش تحت وطأة الظلم والتعذيب، وقد استصرخ في عمقه كل أحاسيس الإنسانية[3]" أي الكاتب يشير إلى أن لجوء الشعراء إلى الطبيعة واستلهامهم من عناصرها لتصوير مشاعر الألم والحزن لم يكن مجرد ترف فني أو هروب إلى الجمال، بل هو انعكاس لمعاناة حقيقية يعيشها الشاعر كفرد ينتمي إلى مجتمع مضطهد ومقهور، فالشاعر هنا لا ينفصل عن قضايا شعبه، بل يعبر عن آلامه وآماله من خلال لغة الطبيعة التي تتحول إلى مرآة للمشاعر الإنسانية عميقة، فالأشجار الذابلة والأنهار الجافة والطيور الراحلة، كلها صور تستحضر الظلم والقهر والحرمان الذي يعيشه الشعب.

يعد الشعر من أبرز وسائل التعبير الأدبي التي يلجأ إليها الإنسان للتعبير عن مواقفه ومبادئه، فهو ليس مجرد فن قائم على الصورة واللغة، بل هو كذلك أداة فكرية يعبر من خلالها عن هموم الفرد والمجتمع، وفي السياق العربي الحديث، تميز بعض الشعراء بجعل الشعر وسيلة للإصلاح والدعوة إلى القيم الدينية دون أن يغفلوا عن الجانب الجمالي الذي يمنح النص قوته وتأثيره ومن بين هؤلاء الشعراء أحمد سحنون وفي هذا السياق يقول الكاتب سليم كرام "فقد كان القرآن الكريم الرافد الأول الذي استتمت فيه لغة الشاعر، ونال من حظه ما مكنه من استقامة لسانه واتزان بيانه، فقد تعلم أبجدياته في مسقط رأسه وحفظه

1 - عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة، بيروت، 1981، ص80.
2 - محمد عبد الهادي، بناء القصيدة في شعر أحمد سحنون أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أدب عربي حديث معاصر، الطيب بودربالة كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد لخضر باتنة-الجزائر، 1431-1482، 2011، ص33.
3 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص115.

على عادة ورغبة أهل الصحراء في تكوين أبنائهم، وقد تجلى بعد ذلك في أخلاقه وأعماله وتمثل في رزانة تفكيره ورجاحة تدبيره، فكان يعده المنهل الأول الذي يحي على كل مسلم أن يرفد منه بذور شخصيته ويشبع من خلال منهله ما يتعطش حتما إلى تحقيقه في دنياه، ليهمس في أذن الأخرين مرشدا"[1] أي أن القرآن الكريم كان المصدر الأساسي الذي استقى منه المسلمون القيم الأخلاقية، فكان له تأثير واضح في تهذيب اللسان وضبط السلوك وتحقيق التوازن النفسي.

يتسم البناء التعبيري في شعر أحمد سحنون بخصوصية فنية وجمالية واضحة تتجاوز حدود النقل الحسي المباشر للطبيعة إلى مستوى أعمق من التعبير هدفه الأساسي هو تحريك العاطفة الإنسانية، فهو لا يصف الطبيعة لمجرد التأمل في جمالها أو استعراض عناصرها كما تفعل بعض التيارات الشعرية التي ترى في الطبيعة فضاء للمتعة الجمالية أو التأمل الفلسفي، بل يوظف عناصرها توظيفا رمزيا يحمل دلالات وجدانية ووطنية وروحية عميقة، ومن أبرز الآليات التي يعتمد عليها أحمد سحنون في بناء تعبيره الفني، الهمس والرمز وفي هذا السياق يقول الكاتب "والهمس لم يكن دلالة الضعف عن الشاعر، بل على عكس ذلك إنه موقف ذاتي يتحقق حينما تقوى نفسه على التغلب على أنانيته وآلامه فتنفجر هامسة، والشاعر القوي هو الذي يهمس فنحس صوته نابعا من أعمق أغوار النفس، لتخرج زفرات لا تقوى على أدائها الصور المعبرة أو اللغة الراقية، وإن الهمس إحساس تتجلى فيه النفس في أسمى لحظات تآلفها، وتساهم اللغة في هز النفوس وتحريكها حتى تشفى مما قد يصيبها من ألم الشعور بالعجز"[2] أي أن الهمس في شعر أحمد سحنون لا يمكن فهمه كمظهر من مظاهر الضعف أو الانكسار، بل هو في حقيقته موقف ذاتي عميق يدل على نضج شعوري ووعي داخلي متزن، حين يلجأ الشاعر إلى الهمس فإنه لا يفعل ذلك لأنه عاجز عن البوح أو التعبير، بل لأنه تجاوز مرحلة الانفعال الصاخب، ومن هذا المنطلق فإن الشاعر القوي كما يتجلى في تجربة سحنون هو من يهمس بشعره، لكنه يبلغ بذلك الهمس أقصى درجات التأثير، واللغة في هذا الموضع لا تكتفي بوظيفة الوصف أو البيان بل تتحول إلى وسيلة لتطهير النفس وتحريك مشاعر المتلقي وهكذا يصبح الهمس عند سحنون شكلا من أشكال التعبير الراقي.

ويقول سحنون وهو يناجي البحر:

والْبَحْرُ خَيْرُ صَدِيقٍ مَا شَكَوْتُ لَهُ إِلَّا اوْلَاكِ إِصْفَاءً وإِنْصَاتًا
هُنَاكَ أَنْسَى جَوّي حُزْنِي بِجَانِبِهِ لَا احِسُّ لِاتِّعَابِي مُعَانَاتًا

1 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص122.
2 - المرجع نفسه، ص ص215-216.

وَهَلْ أَيَرَى صَاحِبًا كَالْبَحْرِ اوْ لِيهْ مِنْ صَفْوِ الْوِدَادِ ويُوَلِّينِي مُصَافَاتَا؟[1]

هنا الشاعر لا يرى في البحر مجرد مساحة مائية، بل صديقا وفيا، لا يخذله حين يبوح له بألمه، كلما همس له بشكواه أنصت له البحر بصمت عميق، والشاعر يسأل نفسه همسا: "هل وجدت في حياتي صديقا كالبحر؟ يعطيه ودا صافيا ويعيده له أنقى؟ البحر لا يخون هو الصديق الذي لا يطلب، فقط يستمع يحتضن، ويسرى. والقصيدة هنا تبرز صورة البحر كرمز للحكمة والصبر والاحتواء، الشاعر لا يصرخ بل يهمسه كأن البوح للبحر لا يحتاج إلى صوت مرتفع. "لقد كان للبحر مكانة كبرى في عمق تفكير الشاعر، كما كان حلقة في مصير مساره الشعري الوجداني، فقد تسمعه وإن لم يسمع هديره، لكن نبضات حبه له جعلته يهمس إليه حتى يسمع، فأدرك بذلك أن الصوت النفسي في أقوى درجات علوه بين الأحبة يكون همسا، وحينها يكون الصوت نابعا من القلب"[2]

تتجلى مكانة البحر في وجدان الشاعر كرمز عاطفي وإنساني يتجاوز وظيفته الطبيعة، فهو لا يقدم كمجرد عنصر من عناصر الطبيعة بل ككيان حميمي يمثل موقفا مركزيا في التجربة الشعرية للشاعر، وركز الكاتب على العلاقة التي تنشأ بين الإنسان والبحر، وهي علاقة قائمة على الصوت النفسي الداخلي، الذي يتراوح في درجاته بين الهمس والبوح، ثم ينتقل الكاتب إلى فكرة أخرى وهي أن هذا الصوت الداخلي يملك قوة خارقة، فهو قادر على اختراق كل الحواجز النفسية والزمنية والمكانية، فيبلغ قلب الحبيب كما يبلغ عمق البحر.

وأنه يخاطب أيضا الجبل كأنه رفيقا له، ويبثه مشاعره ويشاركه لحظات فرحه وألمه فيقول:

أيُّها الطودُ أيُّها الجبلُ الموحى جلالُ الخلودِ للشعراءِ
أيُّها المارِدُ الذي يتحدّى كلَّ هولٍ بالنيّةِ والخيلاءِ
أيُّها القوّةُ الكبيرةُ يا نبعَ قصيدي ويا معينَ غنائي
أنا في هذه الدنيا شقيٌّ ضاق ذرعًا بما بها من شقاءِ
أنا فيها عبدٌ لأطماعِ نفسي مُستذَلٌّ لسلطةِ الأهواءِ
من ذُراكَ المُتيحةِ انبثق النورُ على التائهينَ في الظلماءِ
وتوالى الهتافُ بالخُطّةِ المُثلى من الثائرينَ والأنبياءِ
لم تزلْ مبعثَ الرسالاتِ والثور والثوراتِ مثوى الأبطالِ والزعماءِ

1 - أحمد سحنون، الديوان 1، ص38.
2 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص226.

أيُّها الطودُ قد بثثتُكَ آلامي فهل أنتَ سامعٌ لندائي؟[1]

وفي هذا السياق قال الكاتب "لقد كان الجبل مصدرا للقوة والبطولة منذ القديم، فقد كان ملهم الشعراء في الدلالة على التحدي، ورمزا دالا على الصمود والمقاومة، ولذلك استفرع من خلاله "سحنون" دلائل الغضب والرفض، وهمس إليه مستنفذا يرجو أن يعلمه كيفية امتلاك هذه الصفات بادئا الهمس بالنداء"[2]. يعني أن منذ العصور القديمة، كان الجبل يرمز للقوة والبطولة، والشاعر سحنون لجأ للجبل ليفرغ من خلاله مشاعر الغضب والرفض، فكان يخاطب الجبل همسا، كأنه يستنطقه أو يطلب منه أن يعلمه كيف يكتسب صفاته من قوة وعناد وثبات.

ثانيا: الرمز: ويعد من أهم الأساليب الفنية التي وظفها الأدباء والشعراء للتعبير عن رؤاهم الفكرية والعاطفية بطريقة غير مباشرة، والرمز من آليات التعبيرية التي استثمرها الشعر الجزائري، خاصة في الفترات التي عرف فيها الوطن اضطرابات سياسية وثقافية حادة، كمرحلة الاستعمار أو ما بعد الاستقلال، والرمز في الشعر الجزائري غالبا ما يرتبط بالواقع الاجتماعي والتاريخي ويقول الكاتب في هذا السياق "يمكن اعتبار الرمز وسيلة تنفيس عند شعرائنا، خاصة أنه يتخذ من رموز الطبيعة الموسومة بالتحدي القدرة على التغلب على الهموم، فهو إذا تفريغ نفسي اقتضته حالة الضياع التي حلت بأنفس فقدت قدرة التغيير باليد التي كبلها المستعمر"[3] بمعنى أن الشاعر لا يفرغ مشاعره بشكل مباشر، بل يتوسل بالرمز الطبيعي ليعبر عن اضطراب داخلي وحالة من التيه النفسي، ويتجلى هذا التوظيف الرمزي بوضوح في التجربة الشاعر أحمد سحنون، الذي لم يكن يلجأ إلى الرمز فقط كأداة فنية، بل كان بالنسبة له ضرورة وجدانية تعبر عن إحساسه العميق ويقول الكاتب "واستطاع سحنون أن يفجر سكون السجن انطلاقا بما تمده النافذة من صور ولو أنها ناقصة، فإنه يجعل من السواد والأسى بنية فنية تتحد فيها الدلالة وتتفجر من خلالها معاني الحياة، ولا تقف أمامه عقبات اللغة، فهو طبيعة في يده وقد شكل بواسطتها العديد من تصوير الذكريات التي بقيت ملامحها باهتة في مخيلته عن رموز لها دلالاتها في حياته (البحر، الصحراء، والجبل والجزائر والحرية) وإن قيل أنه يبعث بالطبيعة ليجسد لنا صورة من صورها في شكل قد يكون غير معهود أو في رؤية مثالية، فالأمر عند أحمد سحنون يسير على النقيض والطبيعة هي التي تبعث بحالة، وحدة الشوق الذي استبد به وأراده وقد امتلأت روافد شعره ألما وحزن وكآبة"[4] يؤكد الكاتب فهم الرمز كأداة تعبيرية تتجاوز حدود اللغة المباشرة، ذلك أن الشاعر حين يواجه لحظة شعورية معقدة أو تجربة

1 - أحمد سحنون، الديوان، ص60.
2 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص228.
3 - المرجع نفسه، ص234.
4 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص ص235-236.

داخلية مشحونة لا يستطيع التعبير عنها بأسلوب تقريري، يلجأ إلى الرمز باعتباره لغة بديلة، قادرة على نقل ما تعجز عنه الكلمات العادية، وبالتالي فإن الرمز لا يستخدم من أجل الغموض، بل ليكشف عن جوهر الأشياء بطريقة شعرية تكيفية.

ومن هذا المنطلق تتعدد الرموز في الشعر الجزائري كما جاء بهم الكاتب إذ نجد رموزا حيوانية كالأسد والنسر والصقر ورموزا طبيعية كالجبل وأخرى رموز روحية كالمسجد. وفي هذا السياق يقول "لقد اتخذ الأسد بتعدد أسمائه حيزا دلاليا من الإعجاب بقوته وإقدامه فقد أغنى ذكره بعض القصائد القديمة في المدح، وجسد من خلالها الممدوح في أكمل صور القوة والشجاعة والبأس، فحضوره كقيمة فنية دلالية غائر العمق في تاريخ التعبير الشعري في ذاكرة الأمة العربية وديوانها، ولم تختلف الدلالة التي يوظف فيها أقوال شعرائنا، غير أن أحمد سحنون ذكر لفظ الأسد ليعطيه دلالة على كامل الشعب الجزائري لا فردا واحدا فيه، فيقول زاجرا محذرا من التخاذل والانصياع والمذلة للأعداء"[1].

ولستم بالأسود إذا رضيتم بأن تسطو بأرضكم الذئاب[2]

في التراث الشعري العربي، لم يكن ذكر الأسد مجرد وصف لحيوان مفترس بل كان رمزا دلاليا بالغ العمق، يستحضر للدلالة على القوة والبأس والشجاعة، وقد استخدم هذا الرمز بكثرة في قصائد المديح، إذ عمد الشعراء إلى تشبيه الممدوحين بالأسود ليضفوا عليهم صفات الإقدام والهيبة، غير أن الشاعر الجزائري أحمد سحنون تعامل مع هذا الرمز بطريقة مختلفة عن السياق التقليدي، فلم يستخدم لفظ "الأسد" ليمدح فردا بعينه، بل وسع دلالته ليشمل الشعب الجزائري بأكمله، فجعل من الأسد صورة جماعية تعبر عن كل فرد جزائري وكأنه الشجاعة ليست خصلة فردية، بل صفة وطنية عامة تسري في دماء أبناء الجزائر جميعا ولم يقتصر دور الأسد على الإعجاب أو التجميد، بل تحول إلى وسيلة تحريض وتحفيز، حيث خاطب سحنون الشعب بتحذير واضح من الانصياع أو الاستكانة للعدو، مؤكدا أن الذل لا يليق بـ"الأسود" وأن التخاذل خيانة لطبيعتهم النضالية وبهذا يتحول الرمز إلى أداة نضالية تشعل في النفوس...

التكرار:

يعد التكرار من الخصائص الأسلوبية البارزة التي أضفت على الشعر العربي بعدا جماليا وتعبيريا خاصا، حيث لم يعد مجرد وسيلة للتأكيد، بل أصبح أداة فنية تسهم في بناء المعني وتوليد الإيقاع وإثارة الشحنة الشعورية ويبرز الكاتب سليم كرام التكرار في قوله "من أقدم عناصر التعبير الأسلوبي انتبه إليه علماء اللغة والبلاغة وقدموا له تعاريف مختلفة في مصنفاتهم، فعددوا محاسنه ومعايب توظيفه واجتمعوا على ما في توظيفه من

1 - المرجع نفسه، ص239.
2 - أحمد سحنون، الديوان، ص197.

دوافع نفسية بحتة تكمن وراء استخدامه في الشعر العربي منذ القديم فهو بذلك ظاهرة أسلوبية مرتبطة بالذات، وما توظيفها إلا إسقاط نفسي للحالة الشعورية التي تملكت الإحساس وصبغت الكلام في لحظة الإبداع الفني"[1].

ينظر إلى التكرار في الشعر العربي بوصفه ظاهرة أسلوبية تعبر عن الذات وعن لحظة شعورية مكثفة تتجسد في النص، فتمنحه نبرة صادقة وإيقاعا داخليا مؤثرا، فالتكرار في حقيقته ليس مجرد تزيين لغوي، بل هو انعكاس لحالة وجدانية يعيشها الشاعر لحظة الإبداع إذ لا يكرر الشاعر كلمة أو عبارة عبثا بل لأن الشعور الذي يحمله يكون غالبا عليه إلى درجة تدفعه لإعادة نفس اللفظ أكثر من مرة "وسحنون شاعر مرهف قد اطلع على الشعر العربي وتعلم ما فيه من وسائل تعبيرية وخير ما حواه من دلائل الجمال فأدرك قيمة هذه الآلية وزاد إحساسه بها من خلال تأثره بشعر أبي قاسم الشابي الذي اتخذ من التكرار مطية لنقل عواطفه وأحاسيسه"[2] أي أن سحنون شاعر مرهف الإحساس، يمتلك ذوقا فنيا راقيا وقد ظهر ذلك من خلال اطلاعه الواسع على الشعر العربي القديم والمعاصر.

حيث اكتسب منه مختلف أساليب التعبير الفني، وتعمق في فهم مظاهر الجمال الفني، وقد برز التكرار كأداة تعبيرية فعالة واستخدم التكرار من أجل نقل مشاعره وأحاسيسه بطريقة قوية ومباشرة حيث يقول في قصيدة:

انْتَ عَبِيرُ الزُّهْرَةِ فِي رَوْضَةٍ اثْمَلَهَا الْفَجْرُ بِخَمْرِ النَّدَى

انْتَ غَنَاءُ الطَّيْرِ فِي أَيْكَةٍ تَرْقُصُ لِلطَّيْرِ إِذَا غَرَدَا

انْتَ رَفِيقُ الْقَلْبِ فِي قِبْلِهِ مُنْعِشَةٌ تُطْفِئُ حَرَّ الصَّدَى

انْتَ دَبِيبُ الْبَرْدِ فِي مُهْجِهِ كَادَتْ تَلَا فِ نوي مِنْ أَسَاهَا الرَّدَى

انْتَ جَمَالُ الْكَوْنِ فِي نَاضِرِي لَوْلَاكَ لَمِ ابْصِرْ جَمَالَ الْوُجُودِ

انْتَ أَرِيجُ الْخُلْدِ فِي خَاطِرِي لَوْلَاكَ لَمْ اعْرِفْ مَعَانِيَ الْخُلُودِ

انْتَ سَمَاءُ الْوَعْيِ لِلشَّاعِرِ يَنْهَلُ مِنْهَا كُلَّ مَعْنَى شُرُودِ

انْتَ لَذِيذُ النَّوْمِ لِلسَّاحِرِ قَدْ ذَادَ عَنْهُ الْهَمُّ طَعْمَ الْهُجُودِ[3]

نلاحظ في قصيدة سحنون يبرز التكرار كعنصر فني أساسي يوظفه الشاعر ببراعة ليعبر عن عمق مشاعره ويمنح القصيدة طابعا وجدانيا قويا ولم يكن تكرارا احتياطيا أو لغرض الزخرفة، بل كان أسلوبا تعبيريا عميقا يخدم المعني ويعزز الإحساس ويمنح النص

1 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص284.
2 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص287.
3 - أحمد سحنون، الديوان، ص71.

وحدة فنية شعورية "نحس ونحن نقرأ الأبيات-أن شيئا من توكيد الفكرة يريده الشاعر ولكنه يعتني بالتكرار عناية تخرج الظاهرة من منطق العفوية إلى منطق الصنعة، بخاصة تكرار الضمير (أنت) ثلاثة عشرة مرة، فإذا نحن نحس أن الشاعر قد استنفذ طاقة الضمير وعجز عن التعبير في الانتقال عنه إلى غيره، وقد تشبع أذن المتلقي بالتشبيهات المتراكمة التي تتلو الضمير (أنت عبير الزهر، أنت أمان الأنفس، أنت وميض، أنت ظلال أنت جمال الكون، أنت غناء الطير...)[1]. ويندرج هذا النوع ضمن التكرار اللفظي إذ يعتمد على إعادة نفس اللفظ مثل في قصيدة (أنت) "إن إلحاح الشاعر على لفظ (أنت) الذي حفر في ذهنه كأب، قد لوع فؤاده شوق إلى الأهل والأبناء" ويبدو أن لجوء الشاعر إلى هذا التكرار لم يكن عبثا بل هو محاولة وجدانية للتحقيق من وطأة الألم والمعاناة.

والنوع الثاني من التكرار الذي ركز عليه الكاتب وهو التكرار الصياغي ويعد أحد الأساليب الفنية البارزة "وسحنون شاعر محافظ والبلاغيون القدماء يرون أن تكرار العبارة عيب بلاغي لا فائدة فيه، بل إنه ينبئ عن ضعف الشاعر عن الابتكار وجفاف قريحته من الخلق والإبداع، فهو يلجأ إليه حينما تعييه السبل في تحقيق الدلالة الدقيقة والمناسبة، ولذلك لم يكثر في الشعر العربي القديم إلا بالحد الأدنى"[2] بمعنى حين يعجز الشاعر عن إيجاد تعبير دقيق أو مناسب، قد يلجأ إلى التكرار كحل سهل، ولهذا السبب لم يكن التكرار كثيرا في الشعر العربي القديم، بل استخدم عنه الضرورة فقط.

وخلاصة القول، إن البناء المعرفي في كتاب سليم كرام قد كشف عن أبعاد متعددة في تجربة أحمد سحنون الشعرية، حيث لم يقتصر على تحليل الجوانب الفنية فحسب بل تجاوزها إلى رصد التفاعل العميق بين البعد الجمالي والرسالة الإصلاحية التي حملها شعره، لقد أبرز الكاتب كيف استطاع سحنون أن يزاوج بين صدق الإحساس الفني وعمق الالتزام الفكري، ففرق بدقة بين الشعر الرومانسي الذي يركز على العاطفة الفردية، والشعر الوجداني تعبير عن مشاعر والأحاسيس الداخلية أي أنه نابع من الذات، ومدى تأثيره العميق بالقرآن الكريم ليس فقط في المضامين الإصلاحية التي يحملها، بل في البنية الفنية واللغوية فقد شكل القرآن الكريم مرجعية معرفية وروحية أساسية في شعره، استمد منها قيم الجمال، وعمق الرسالة وقوة التأثير كما سلط الضوء على البنية التعبيرية التي اتسم بها شعر سحنون ومن خلال اعتماد على أساليب كالهمس والرمز واعتمد فيه على رمزية الأسد ورمزية النسر والصقر والجبل الصديق والمسجد وأيضا التكرار وخاصة التكرار اللفظي والصياغي.

2- البناء المنهجي:

1 - د. عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري، ص231.
2 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، 299.

يعد موضوع الطبيعة في الشعر من المواضيع التي نالت اهتماما لدى العديد من الشعراء والنقاد، كما تحمله الطبيعة من دلالات رمزية وجمالية تعبر عن رؤى الشاعر وتصوراته الوجدانية والفكرية، وقد عرف الشعر الجزائري الحديث تحولات فنية وجمالية انعكست على طريقة تناول الشاعر للطبيعة، حيث تجاوزت مجرد الوصف السطحي إلى عمق التأمل والتوظيف الرمزي والبعد الذاتي وفي هذا السياق يندرج كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث للباحث سليم كرام الذي قدم دراسة أكاديمية متكاملة تسعى إلى كشف عن ملامح حضور الطبيعة في النص الشعري الجزائري الحديث .

1) التعريف بالمؤلف:

الدكتور سليم كرام كاتب وشاعر أكاديمي جزائري أستاذ الأدب العربي في جامعة محمد خيضر بسكرة، ومن إسهاماته شارك وأطر عديد من الملتقيات (محليا، وطنيا) وكتابة العديد من المقالات والقصائد الشعرية التي نشرت بالصحف الوطنية (اليوم، صوت، الأحرار، السفير، الأحداث والكتابة الشعرية التي نشرت في الصحف الوطنية في مجلة الخلدونية ومن إنجازاته:

- ملحمة الزيبان
- نشيد المجد والخلود (ديوان شعر عمودي فصيح) مطبوع قدم له الشاعر محمد بلقاسم
- واللحن وآليات تصويب الكلام (مخطوط)
- هذا أمير الشعر المنسي (عاشور الخنقي) (مخطوط)
- العديد من الدراسات الجزئية والمقالات في مجال اللغة والأدب العربي

ويندرج كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث "ضمن الجهود النقدية التي تسعى إلى دراسة حضور الطبيعة كعنصر فني وجمالي في التجربة الشعرية الجزائرية الحديثة وقد انطلق المؤلف من قناعة راسخة بأن الطبيعة ليست مجرد خلفية مادية في الشعر بل هي رافد أساسي في تشكيل الصورة الشعرية وتوليد الدلالات الرمزية والعاطفة. ويؤكد الكاتب أن الشاعر العربي، عبر العصور اتخذ من الطبيعة معينا تعبيريا يعكس مشاعره ويترجم أحاسيسه، سواء في لحظات الحزن أو الفرح ويسعى سليم كرام من خلال هذا العمل إلى إبراز أهمية الطبيعة كشكل من أشكال التعبير الشفوي. "إن الغاية من هذه الدراسة تتجلى في توضيح طبيعة توظيف مظاهر الطبيعة عند الشاعر الجزائري عامة، وأحمد سحنون على وجه الخصوص"[1].

الهيكل العام للكتاب:

1 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص10.

يتألف الكتاب من أربعة فصول رئيسية، وزعت وفق ترتيب منطقي ومتكامل حيث تناول في الفصل الأول المعنون بـ (الجمال: المفهوم والرؤية الغربية والعربية للطبيعة) كما يعرض تطور هذه المفاهيم في الفكر انطلاقا بآراء فلاسفة اليونان وآراء علماء العصر الحديث وتناول تنوع هذا المفهوم عبر مختلف العصور الأدبية مبتدئا بالعصر الجاهلي وصولا إلى العصر الحديث مستعرضا ذلك من خلال نماذج من الشعر الجزائري.

أما الفصل الثاني، الذي عنونه بمصادر الصورة وجمالياته في شعر أحمد سحنون "كما خصصه لتحليل الأصول التي استند إليها الشاعر الجزائري في بناء صورة شعرية، مع التركيز بشكل خاص على التجربة الشعرية لدى أحمد سحنون، كما تطرق إلى الكيفيات التي تم من خلالها توظيف عناصر الطبيعة ورموزها المختلفة، كالجبال، والصحراء والبحر والنباتات والطير.

أما الفصل الثالث المعنون بـ: السمات الفنية لتوظيف الطبيعة في شعر أحمد سحنون وتناول أيضا آليات هذا التوظيف وقد ركز بشكل خاص على تقنيات الهمس والرمز. والتكرار وبأقسامه اللفظي والصياغي والصرفي وقد اقتضت طبيعة الموضوع وتشعب جوانبه أن تتبنى هذه الدراسة تنوعا منهجيا يواكب خصوصيات كل فصل، أي أنه اعتمد على المنهج التاريخي في الفصل الأول باعتباره الأنسب لتتبع تطور المدلول الجمالي، أما في الفصل الثاني اعتمد على منهج نظرية القراءة الجمالية، لكي يتماشى مع طبيعة الصور الطبيعية التي شكلت محورا أساسيا في تجربة الشاعر، في حين اعتمد الفصل الثالث إلى المنهج الوصفي، وذلك لرصد أبرز الخصائص الفنية العامة التي ميزت شعر أحمد سحنون، من خلال قراءة شمولية لديوانه.

نقاط القوة في الكتاب:

- الطرح المنهجي المنظم: سليم كرام اعتمد على خطة بحثية دقيقة، إذ قسم كتابه إلى فصول مترابطة، تبدأ من التأصيل المفاهيمي والنظري لمفهوم الطبيعة، مما وفر للقارئ تسلسلا منطقيا وسلسا في الفهم.
- التوفيق النظري والتطبيقي: من أهم عناصر القوة في الكتاب أنه لم يكتفي بالحديث عن المفاهيم المجردة بل قام بتحليل نماذج شعرية جزائرية حقيقية، مما أعطى للكتاب بعدا علميا وعميقا نقديا.
- اللغة النقدية المتزنة: استخدم الكاتب لغة واضحة ومصطلحات نقدية دقيقة دون تعقيد، مما جعله في متناول الطلبة والباحثين.
- ربط الشعر بالسياق الاجتماعي والتاريخي: أظهر الباحث كيف توظيف الطبيعة في الشعر لم يكن معزولا عن الواقع، بل كان يحمل أبعادا وطنية وجدانية، وثقافية تعكس وعي الشاعر بقضايا مجتمعه.

الملاحظات النقدية:

- قلة التوسع في بعض الفصول على الرغم من شمولية الدراسة، إلا أن بعض الفصول كان من الممكن أن تعالج بقدر أكبر من التفصيل والتحليل.
- التركيز النسبي على شاعر معين: مثلا تم تخصيص جزء كبير من التطبيق لأحمد سحنون، وكان من الأفضل من الناحية المقارنة أن تستهل الدراسة تطبيقات مماثلة على شعراء آخرين وكان من الممكن كذلك إدراج بعض المناهج الحديثة مثل النبوية لتعميق التحليل.

وأخيرا من حيث القيمة العلمية يعتبر هذا الكتاب إضافية نوعية في ميدان الدراسات الأدبية والنقدية في الجزائر، لأنه يعالج موضوعا نادرا وهو تمثل الطبيعة في الشعر بأسلوب علمي ومنهجي يجمع بين الرؤية الجمالية والدلالية.

3- مصادر التحليل النقدي والمرجعيات:

اعتمد الباحث في دراسته لموضوع الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر على مجموعة من المصادر النقدية والمرجعيات التي شكلت الإطار النظري والمنهجي لتحليله، وقد تميزت هذه المصادر بالتنوع، إذ جمعت بين الطابع التاريخي، الجمالي، والبلاغي، إلى جانب المرجعيات المحلية والعربية، مما زادت على الدراسة عمقا علميا وتوازنا في المعالجة.

ومن أبرز المرجعيات التي استند إليها الكاتب، نذكر دراسات أساتذة وباحثين جزائريين أمثال "محمد ناصر" بعنوان (الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية) إضافة إلى الدكتور عبد الله ركيبي والدكتور أبو القاسم سعد الله، والدكتور "عمر بوقرورة (الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث ودراسة الدكتور إبراهيم رماني (المدينة في الشعر العربي-الجزائر أنموذجا) والناحية التطبيقية اعتمد على أطروحة الماجستير النقدية المعنونة بالشعر السجون والمعتقلات في الجزائر) للأستاذ محمد زغنية إضافة إلى دراسة الدكتور أبي القاسم سعد الله (محمد العيد آل خليفة شاعر جزائر) وغيرها من المصادر.

بالإضافة إلى ذلك، يظهر في التحليل توظيف لبعض المفاهيم النقدية ذات الأصول البلاغية والجمالية، ما يدل على إطلاع الباحث على التراث النقدي العربي دون أن يهمل التوجهات الحديثة في التحليل النصي، وهذا التنوع في المرجعيات أتاح له إمكانية الربط بين الشعر والطبيعة ضمن رؤية تجمع بين الإيحاء الجمالي والدلالة الرمزية، خاصة في تحليل تجارب شعراء كأحمد سحنون ومحمد آل خليفة وغيرهما.

ومع أن المرجعيات الموظفة تميزت بشمولها وارتباطها الوثيق بموضوع البحث إلا أنه يلاحظ غياب بعض الاتجاهات النقدية المعاصرة كالتحليل السيميائي أو اللساني، والتي كان من الممكن أن تعمق القراءة النصية وتفتح آفاقا جديدة للتأويل.

في المجمل، فإن الاعتماد على هذه المصادر منح الدراسة مصداقية علمية وساعد الباحث في بناء تصور واضح حول تجليات الطبيعة في الشعر الجزائري وجعل من تحليله أقرب إلى المنهجية المتوازنة التي تمزج بين المعطى النصي والسياق الثقافي العام.

خـــاتمـــة

خـاتمــة :

في هذا البحث الذي درست الاستراتيجية النقدية في كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث للدكتور سليم كرام، يمكن استخلاص جملة من النتائج وهي كالآتي:

- أن النقد الأدبي ليس فعلا تابعا أو ثانويا، بل ممارسة إبداعية متكملة الأركان، تجعل من الناقد شريكا في العملية الإبداعية من خلال ما يضيفه من تأويلات وقراءات تكشف أبعادا جديدة للنصوص.
- تبين أن النقد العربي المعاصر يواجه تحديا حقيقيا يتمثل في التوفيق بين المناهج الغربية الوافدة والخصوصية الثقافية المحلية، فاستيراد المناهج دون وعي بجذورها الفلسفية وسياقاتها التاريخية أدى في كثير من الأحيان إلى تهميش النصوص الأدبية بدل الإضاءة عليها، مما ينتج ما يعرف بـ "القمع المنهجي" لذلك فنجاح العملية النقدية يرتبط بمدى وعي الناقد بحدود المنهج وقدرته على تكييفه بما يخدم النص وسياقه، دون أن يقع في اسقاطات جاهزة أو قراءات مغلقة.
- أثبت كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث للدكتور سليم كرام قدرة ملحوظة على قراءة شعر أحمد سحنون بمنهج نقدي متوازن يجمع بين التحليل الموضوعاتي والوعي السياقي، فقد الكاتب في الكشف عن البعد الجمالي والرمزي للطبيعة، باعتبارها نظاما من أنظمة المقاومة ولامس جوانب التجربة الإنسانية التي عاشها في ظروف القهر والسجن.
- كما أظهر الناقد موضوعية في لغته وتحليله، محيطا بجوانب معرفية وتراثية مهمة، ما يعكس وعيا نقديا حقيقيا يجعل من قراءته إضافة معتبرة للدراسات الأدبية المعاصرة.
- قدم الدكتور سليم كرام قراءة موضوعاتية جادة لطبيعة حضور الطبيعة في شعر سحنون من خلال منظور يتقاطع فيه البعد الجمالي بالبعد الرمزي، غير أن هيمنة الطرح الموضوعاتي جعلت بعض الجوانب الأسلوبية تمر دون تعمق كاف.
- وقد بينت الدراسة أيضا أن شعر سحنون يزاوج بين الإحساس الجمالي والتجربة الدينية والنضالية، ما يجعل من قصائده وثائق أدبية تمزج بين التعبير الفني والرسالة الإنسانية.
- وهكذا نخلص إلى أن أحمد سحنون شاعر رسالة وقضية، وأن قراءة لكاتب سليم كرام وفرت مدخلا مهما لفهم العلاقة بين الجمال الشعري والهوية الوطنية، في لحظة تاريخية حاسمة من تاريخ الجزائر الحديث.
- وفي الختام لا نزعم الوصول إلى نتائج قطعية فالعمل البحثي يظل مفتوحا على التأويل والمراجعة وما توصلت إليه يمثل اجتهادا علميا قابلا للنقاش والتصوير.

ملحـــــــــق

أحمد سحنون (1907-2003)

1- المولد والنشأة:

ولد سنة 1907 بقرية "ليشانة" بدائرة طولقة التابعة لولاية بسكرة، وفقد أمه وهو لا يزال رضيعا، وقد حفظ القرآن صغيرا على يد أبيه، ثم تلقى العلوم اللغوية والشرعية على يد أبيه ومجموعة من مشايخ بلدته.[1]

- بعد وفاة والدته، تولت زوجة أبيه مسؤولية تربيته، حيث كان والده الشيخ سحنون، متزوجا من امرأتين، وله 12 ولدا، ولكن لم يبقى منهم على قيد الحياة سوى خمسة، من بينهم ثلاثة ذكور، محمد وصالحي وأحمد وإضافة إلى بنتين هما عيشوش والزهرة[2]، ونظرا لعدم اهتمام زوجة والده به، تكفل والده برعايته وسعى لتعويضه عن فقدان حنان الأم، كان يعامله بعناية فائقة ويحرص على ملازمته باستمرار حتى أنه نادرا ما كان يفارقه، وقد نشأ في بيئة مليئة بالمحبة والرعاية، حيث تلقى تربية حسنة زوده بتوجيهات ونصائح ذات تأثير كبير في تكوينه النفسي والعقلي[3].

2- زواجه وأولاده:

تزوج الشيخ أحمد سحنون ابنة عمته السيدة "قرمية" وأنجبت له أربعة أولاد هم: محمد، رجاء، عائشة، زينب، فوزية، وسعيدة، وبعد وفاة السيدة قرمية سنة 1987م تزوج بالحاجة فاطمة الزهراء عليوات، التي لم تنجب له أطفالا[4].

3- تعليمه وأساتذته:

ينتمي الشيخ سحنون إلى عائلة عريقة اشتهرت بنقل العلم جيلا بعد جيل منذ صغره، وكانت خطواته الأولى انتظامية على نهج والده فحفظ القرآن الكريم جيدا[5] على يديه وعمره 12 سنة[6].

حيث تلقى على يده المبادئ الضرورية في علوم الدين، مثل الفقه والتوحيد[7]. وقد كان لوالده تأثير عميق عليه، وكان دائم الذكر والوصف له.

ولقد كان لبعض شيوخ منطقة الزيبان فضلا وافرا في تكوين الشاعر وتهيئة نفسه لأجلّ وأقدس عمل (الإصلاح) الذي تصدى له منذ اتصاله بابن باديس، وتأثيره بشخصيته فشجعه

1 - د. حمزة حمادة، مقاربات في الأدب الجزائري ونقده، قراءات في الشعر والنثر.
2 - عبد القادر الصيد، الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2013، ص61.
3 - محمد دراجي، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص15.
4 - زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون نموذجا-1907-2005، ص49.
5 - محمد دراجي، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر، المرجع السابق، ص14.
6 - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص432.
7 - محمد دراجي، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر، المرجع السابق، ص15.

على المضي في نظم الشعر الإصلاحي ولقى ذلك همة رفيعة فشغل الجرائد التي أزينت صفحاتها بكريم إنتاجه كالنجاح والشهاب والبصائر مؤكدا حضوره في بناء فكر الجزائر وترسيخ مقوماتها وبذلك عد من كتائب مناضلي الحركة الإصلاحية في الجزائر رفقة علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1].

وعمل بالمجال الصحفي، وشارك في هيئة تحرير صحيفة (البصائر)، التي اشتهر فيها شعره، ومقالاته التربوية، وكان من أكثر المطالبين بالثورة والجهاد ضد المستعمر الفرنسي في مقالاته وأشعاره، ولم يقتصر على الدعوة للجهاد من خلال قصائده وخطبه، بل أسس تنظيما فدائيا قبل اندلاع ثورة التحرير الوطني، وأيد الثورة مباشرة بعد قيامها، وألقي عليه القبض رفقة مجموعة من المفكرين والمصلحين، وزج به في السجن، لكنه تمكن من الهروب منه برفقة بعض السجناء سنة 1959م[2].

4- وفاته:

تعرض الشيخ أحمد سحنون لمحاولة اغتيال أثناء توجهه إلى إمامة الناس في صلاة الفجر، وهي حادثة كادت أن تؤدي بحياته لكنه نجا منها بفضل الله. بعدها التزم بالبقاء في بيته ورغم معاناته الصحية المتزايدة ظل الشيخ صابرا ومتحسبا، حتى فاضت روحه إلى ربه[3] ليلة الاثنين 08 ديسمبر 2003م الموافق لـ 14 شوال1424هـ[4].

5- آثاره:

ترك الشيخ مجموعة من الآثار، وهي عبارة عن بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة أهمها:

- الديوانيين: الديوان الأول 1977.
  الديوان الثاني 2007.
- كتاب دراسات وتوجيهات إسلامية.
- كتاب كنوزنا.

1 - سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون-أنموذجا-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث والمعاصر،

2 - حمزة حمادة، مقاربات في الأدب الجزائري ونقده، قراءات في الشعر والنثر، المرجع السابق، ص67.

3 - محمد دراجي، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر العادية الصابر، المرجع السابق، ص ص47-48.

4 - كمال بن عطاء الله، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسيرة علم وإصلاح دار علي بن زيد، بسكرة، 2013، ص72.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم : "**سورة يونس** الآية 10"

المصادر :

الكتب:

1. أحمد زغبي، استراتيجيات القراءة: التأصيل والإجراء النقدي، دار الكندي، دمشق، ط1، 1998.
2. بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
3. بن عبد الرجمان عبد الرزاق، مناهج النقد الأدبي المعاصرة، ط1، 1442هـ/2021، حي الكورس عمارات بركامة، بسكرة، الجزائر.
4. جهاد فاضل، أسئلة النقد "حوارات مع النقاد العرب"، الدار العربية للكتاب.
5. حمزة حمادة، مقاربات في الأدب الجزائري ونقده، قراءات في الشعر والنثر.
6. خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، إفريقيا الشرق، الرباط، ط1، 2012.
7. زينب لمونس، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون نموذجا-1907-2005.
8. سليم كرام،جامعة العربي التبسي ،تبسة،2021 الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون-أنموذجا-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث والمعاصر،
9. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشرق، بيروت، لبنان.
10. صالح أحمد الشامي، ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام.
11. عبد القادر الصيد، الشيخ أحمد سحنون الأديب المصلح، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2013.
12. عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة، بيروت، 1981.
13. عبد الله العذامي، الكتابة ضد الكتابة، ط1، 1991، دار الأداب، بيروت.
14. فاطمة سعدون، المناهج النقدية-إشكالية التطبيق والوعي بالأصول، جسور المعرفة التعليمية والدراسات اللغوية والأدبية، مجلة دورية أكاديمية دولية محكمة، جامعة حسين بن بوعلي، الشلف، 2016.
15. كمال بن عطاء الله، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسيرة علم وإصلاح دار علي بن زيد، بسكرة، 2013.
16. ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، ط1، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997.

17. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، رقم النشر 170/69.
18. محمد دراجي، الشيخ أحمد سحنون العالم الشاعر والداعية الصابر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013.
19. محمد صابر عبيد، تجلي الخطاب النقدي من النظرية إلى الممارسة، ط1، 1434هـ /2013م، دار الأمان، الرباط.
20. محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص ص31-32.

الاطروحات:

1. الطيب دحمان، قصيدة الحرب في الشعر الجزائري، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إ/أ. د. عبد القادر قروش ود. عبد الحفيظ بورديم، كلية الآداب والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، 2007-2008.
2. محمد عبد الهادي، بناء القصيدة في شعر أحمد سحنون أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر، أ. د، الطيب بودربالة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 1431-1432هـ/2010-2011م.

المجلات:

1. ريمة لعواس، تعدد المناهج في قراءة النص الأدبي المعاصر، (بحث في جهود عبد الملك مرتاض النقدية)، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة الجزائر 2، تاريخ النشر 2021/02/28، المجلد 8.

الفهرس

الفهرس

شكر وعرفان .....
إهداء .....
مقـــــدمـة: .....أ

مدخل الالتزام في الشعر الجزائري الحديث

أحمد سحنون (1907-2003) 60
-1المولد والنشأة: 61
-2زواجه وأولاده: 61
-3تعليمه وأساتذته: 61
-4وفاته: 62

الفصل الأول. النقد الأدبي بين الممارسة والاستراتيجية..

-1النقد ممارسة إبداعية (النقد إبداع ثان): 18
-2النقد وإشكالية المنهج: 20
-3كتاب الطبيعة في ميزان النقد الحديث: 22
-4اللغة النقدية: 25

الفصل الثاني.

الاستراتيجية النقدية في كتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث أحمد سحنون-انموذجا-لـ: "د. سليم كرام".

1-البناء المعرفي: 36
2-البناء المنهجي: 47
(1 التعريف بالمؤلف: 48
الهيكل العام للكتاب: 48
نقاط القوة في الكتاب: 49
الملاحظات النقدية: 50
3-مصادر التحليل النقدي والمرجعيات: 50
خـــاتمـــة: 59
قائمة المصادر والمراجع: 62

الملخص:

في هذا البحث المتواضع دراسة و قراءة نقدية لكتاب الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث (أحمد سحنون) للمؤلف سليم كرام وقد ركزنا في هذا المنجز على الطريقة والاستراتيجية التي اعتمدها الكاتب في قراءته النقدية للشاعر الجزائري (أحمد سحنون) وهذا من خلال موضوع الطبيعة في شعره وكيف استحضر هذا الشاعر عناصر الطبيعة ووظفها توظيفا فنيا مزج فيه بين الحس الوطني وملامح الطبيعة وفي هذا الإطار، سعينا إلى تحليل البناء المعرفي والمنهجي الذي انطلق منه المؤلف الدكتور سليم كرام في قراءته لشعر أحمد سحنون، من خلال تتبع المرجعيات التي استند إليها، سواء كانت أدبية أو فكرية أو نقدية. كما وقفنا على الآليات التحليلية التي وظفها في معالجة موضوع الطبيعة، وكيف وُفّق في إبراز أبعادها الجمالية والفنية والدلالية، خاصة في ارتباطها بالبعد الوطني والروحي في شعر سحنون. وقد انقسم البحث إلى فصلين تناولنا فيهما طبيعة المشروع النقدي عند سليم كرام، ثم حاولنا الكشف عن الأفق الفني الذي تحضر فيه الطبيعة في شعر أحمد سحنون، وذلك من خلال تتبع الصور، والرموز، والأنساق التعبيرية التي تُجسّد تفاعل الشاعر مع محيطه الطبيعي والوطني.

Abstract:

This modest research study and critical reading of the book "Nature in Modern Algerian Poetry (Ahmed Sahnoun)" by Salim Karam. We focused on the method and strategy adopted by the author in his critical reading of the Algerian poet Ahmed Sahnoun. This was done through the theme of nature in his poetry, and how this poet evoked elements of nature and employed them artistically, blending national sentiment with natural features.

In this context, we sought to analyze the cognitive and methodological framework from which the author, Dr. Salim Karam, began his reading of Ahmed Sahnoun's poetry, by tracing the references he relied on, whether literary, intellectual, or critical. We also examined the analytical mechanisms he employed in addressing the theme of nature, and how he succeeded in highlighting its aesthetic, artistic, and semantic dimensions, particularly in connection with the national and spiritual dimensions in Sahnoun's poetry. The research was divided into two chapters in which we discussed the nature of Salim Karam’s critical project. We then attempted to uncover the artistic horizon in which nature is present in Ahmed Sahnoon’s poetry, by tracing the images, symbols, and expressive patterns that embody the poet’s interaction with his natural and national surroundings.